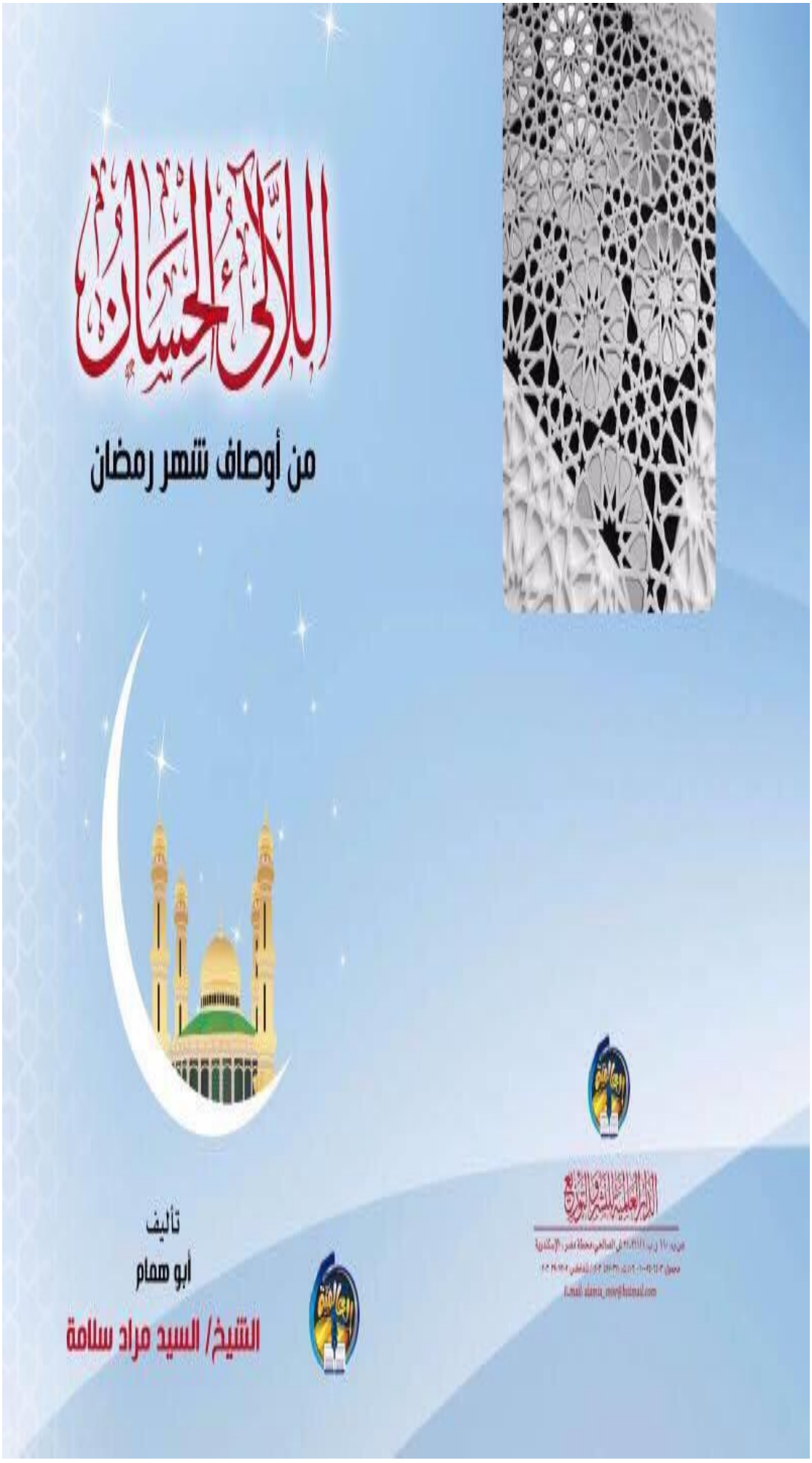
اللآلئ الحسان
من أوصاف شهر رمضان
تأليف
أبو همام
الشيخ/ السيد مراد سلامة

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]

كتاب قد حوى دراً بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيهاً حقوق الطبع محفوظة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الدار العالمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلا له، ومن يضلل فلا هادى له، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢] {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] وقال تعالى { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: ٧٠]

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد – ﷺ – وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار: وبعد:

أخي المسلم .... أختي المسلم: إن من أعظم الشهور مكانة عند الله–تعالى –شهر اختصه الله –تعالى – بإنزال كتابه وإرسال رسله شهر هو ميلاد الأمة الإسلامية شهر تُقال فيه العثرات وتغفر فيه الزلات وترفع فيه الدرجات وتفتح في أبواب الجنات وتعتق في رقاب المسلمين والمسلمات إنه شهر قال الله عنه {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]

وأخبرنا رسولنا — صلى الله عليه وسلم–أنه شهر الكتب السماوية وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:" أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". ([1])

فما هي صفات ذلك الشهر وما هي أثار تلك الصفات في حياة المسلمين والمسلمات؟

[1] – أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٥)، والطبراني (٧٥/٢٢، رقم ١٨٥) وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (١٥٠٩).

الجواب بحول الملك الوهاب: نجده في هذا السفر الذي جمعتُ فيه ستة عشر صفة لذلك الشهر وبينتُ فضلها وما يناله المسلم من تلك الصفات وإنه عبارة عن روضة من رياض المغفرة والرحمة والقرب والأنس بالله – جل جلاله – و بستان من بساتين العارفين يجدون فيه بغيتهم من التلذذ بالطاعات و مناجاة رب الأرض و السماوات

و ها هي بين يديك مسفرة تنادي عليك بحديث النبي – صلى الله عليه و سلم، فعَنْ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ مَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَّانِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَنَادَى مُنَادٍ : يَا باغي الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا باغي الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ».([٢])

بلوغ رمضان نعمة كبيرة على من بلغه وقام بحقه بالرجوع إلى ربه من معصيته إلى طاعته، ومن الغفلة عنه إلى ذكره، ومن البعد عنه إلى الإنابة إليه.

يا ذا الذي ما كفاه الذنبُ في رجبٍ حتى عصى ربه في شهر شعبانِ

لقد أظلَّك شهر الصوم بعدهما فلا تُصَيِّرْهُ أيضا شهرَ عصيانِ

واتل القُرَان وسبح فيه مجتهدا فإنه شهر تسبيح وقرآنِ

كم كنت تعرف ممن صام في سَلَفٍ من بين أهل وجيران وإخوانِ

أفناهمُ الموت واستبقاك بعدهمو حَيًّا فما أقرب القاصي من الداني

أخي المسلم مرت عليك الليالي والأيام والشهور وأنا وأنت في غفلة فقد اقبل علينا رمضان فهيا لنكون في مواكب الصائمين ونجالس الصالحين وننهل من كتاب رب العالمين

مضى رجب وما أحسنت فيه وهذا شهر شعبان المبارك

فيا من ضيع الأوقات جهلاً بحرمتها أفق و احذر بوارك

فسوف تفارق اللذات قسراً ويخلي الموت كرهاً منك دارك

---

[٢] – أخرجه الترمذي (٦٦/٣، رقم ٦٨٢) ، وابن ماجه (٥٢٦/١ ، رقم ١٦٤٢) وقال الشيخ الألباني : صحيح ، وابن حبان (٢٢١/٨ ، رقم ٣٤٣٥) ، والحاكم (٥٨٢/١ ، رقم ١٥٣٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وأبو نعيم في الحلية (٣٠٦/٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠١/٣ ، رقم ٣٥٩٨) ، وفى السنن الكبرى (٣٠٣/٤ ، رقم ٨٢٨٤) .

تدارك ما استطعت من الخطايا بتوبة مخلص واجعل مدارك

على طلب السلامة من جحيم فخير ذوي الجرائم من تدارك.

إخوة الإيمان لقد كان سلفكم الصالح يترقبون شهر رمضان ليعيشوا أيامه ولياليه بين طاعات وعبادات متوالية وكان من دعائهم " اللهم سلمنا إلى رمضان، وسلم لنا رمضان، وتسلّمه منا متقبلاً " بل كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغني إياهم، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

فاللهم سلمنا إلى رمضان، وسلم لنا رمضان، وتسلّمه منا متقبلاً

تأليف أبي همام الشيخ/ السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

hamam4111@gmail.com

الصفة الأولى: رمضان شهر الصوم

اعلم علمني الله و إياك: أن أول صفة من صفات الشهر المبارك أنه شهر الصيام و الصوم هو منحة الله تعالى لهذه الأمة و إن كان قد افترضه على الأمم من قبلنا قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الصيام في لغة العرب: هو الإمساك.

وفي الشرع: إمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، بنية خاصة، في وقت خاص، والمفطرات كالأكل والشرب والجماع بين الزوجين ونحوها، مع كف النفس عما حرم الله ورسوله.

فالصوم على حقيقته تهذيب وضبط لغرائز الإنسان الكامنة فيه، كغريزة الطعام والشراب، وغريزة الشهوة والجماع، وغريزة التملك والحرص، كما أنه كسر ودفع لمداخل الشيطان على الإنسان، وحفظ للجوارح والأركان، وكما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به. قال: "عليك بالصوم فإنه لا مثل له".([٣])

يقول أبو حامد الغَزالي –رحمه الله –صاحب "الإحياء": "الصيام زكاةٌ للنَّفْس، ورياضة للجسم، وداعٍ للبر؛ فهو للإنسان وقاية، وللجماعة صيانة، في جوع الجسم صَفاءُ القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة؛ لأنَّ الشِّبَع يُورث البَلادةَ، ويعْمِي القلب، ويُكْثِر الشِّجار في الدماغ فيتبلَّد الذِّهن، والصبي إذا ما كثر أكْله بَطل حِفْظه، وفسد ذهنه، أحْيُوا قلوبكم بقلَّة الضحك وقلَّة الشِّبع، وطهِّروها بالجوع تَصْفُ وتَرق".([٤])

ويقول أحمد شوقي "أمير الشعراء": "الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة،

---

[٣] - أخرجه أحمد (٢٤٨/٥ ، رقم ٢٢١٩٤) قال الهيثمي (١٨٢/٣) : رجاله رجال الصحيح ، والنسائي (١٦٥/٤ ، رقم ٢٢٢٠) قال الحافظ في الفتح (١٠٤/٤) : سنده صحيح ، وابن خزيمة (١٩٤/٣ ، رقم ١٨٩٣) ، وابن حبان (٢١١/٨ ، رقم ٣٤٢٥)

[٤] - منافع الصيام (ص: ٨)

ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وعرف المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع".([٥])

والصوم هو أحد أركان الإسلام الخمسة

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: (الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله، وتقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً). الحديث.

وحين نزلت: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: ١٨٤] كان من أراد أن يفطر أفطر ويفدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها، يعني بها قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فأوجب الله الصيام عينًا دون تخيير.

أتى رمضان مزرعة العباد — لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولا وفعـــلا — وزادك فاتخذه للمعـــاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها — تأوه نادما يوم الحصـاد

محبة الله تعالى للصائمين

و اعلم أن الله يحب الصوم والصائمين: فنصومه تزلفا وتقربا إلى الله سبحانه وتعالى فقد أخبرنا الصادق المصدوق–صلى الله عليه وسلم–أن الله يحب الصوم عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة – رضي الله عنه – يقول قال رسول الله ؟ قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم (لخلف فم–لخلوف في) الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه ([٦])

---

[٥] - نداء الريان في فقه الصوم ١/ ٤٦.

[٦] - –**أخرجه: البخاري ٣/ ٣١ (١٨٩٤) و ٣٤ (١٩٠٤)، ومسلم٣/١٥٧–١٥٨ (١١٥١) (١٦٣) و(١٦٤).**

فهذا الحديث من أعظم الدوافع التي تدفع المسلم إلى المبادرة إلى صيام ذلك الشهر فالمحب يحب ما يحب حبيبه ٠

والصوم جنة واقية من الوقوع في الذنوب والمعاصي

و هذا ما اخبرنا به النبي – صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار".([٧])

يقول ابن حجر –رحمه الله – وأما صاحب النهاية فقال معنى كونه جنة أي يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات وقال القرطبي جنة أي سترة يعني بحسب مشروعيته فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه واليه الإشارة بقوله فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث الخ ويصح أن يراد أنه سترة بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس واليه الإشارة بقوله يدع شهوته الخ ويصح أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات وقال عياض في الإكمال معناه ستره من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك وبالأخير جزم النووي وقال بن العربي إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة. ([٨])

الأجر بغير حساب

عن أبي هريرة –رضي الله عنه قال –: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "كلُّ عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها على سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. . الحديث" ([٩])

الحافظ قطب الدين القسطلاني –رحمه الله – فان قلت فما وجه قوله (إلا الصوم فانه لي) والأعمال كلها لله فما علة تخصيصه له بالإضافة دون غيره قلت : لعلماء فيه عدة من الأقوال

أحدها: معناه أنا العالم بجزائها لمالك له ولا أطلعكم عليه كما أطلعتكم على أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فجزاء الصائم فوق هذا ٠العدد مما اعلمه ولا أخبركم به فان الصيام ينقص البدن

---

[٧] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، صحيح الترغيب برقم (٩٨٠)، وصحيح الجامع برقم (٣٨٨٠)

[٨] - فتح الباري لابن حجر – (ج ٦ / ص ١٢٩)

[٩] -أخرجه البخاري (٤/ ١٠٣)، ومسلم (١١٥١) (١٦٤)، واللفظ له من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم أيضاً (١٦٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

ويضعف البنية بخلاف غيره من أركان الإسلام فالصائم يعرض نفسه لما هي كارهة، فكان جزاء عمله فيه معنى الصبر وقال الله {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠]

ثانيا: إذا كان يوم القيامة حاسب الله تعالى العباد وأدى ما عليهم من المظالم وأدخلهم بالصوم الجنة وهو مروي عن ابن عيينه

ثالثا انه ليس مما يظهر فيدخله الرياء بخلاف غيره من الأعمال تطلع الحفظة عليها فإنها حركات وسكنات وإنما هو نية وإمساك عن المفطرات فيتولى الحق جزاءه بما شاء من التضعيف مما لا يطلع عليه غيره، ويشهد لذلك قوله (ليس في الصوم رياء) ([١٠])وهذا معنى قول أبي عبيدة

رابعا: انه ليس للصائم فيه حظ فكان لله وحده، وهو قول الخطابي ([١١])

باب الريان لمن صام رمضان

واعلم امن من الأسباب الدافعة إلى صيام شهر رمضان أن ندخل الجنة من باب قد خصه الله تعالى بالصائمين لا يدخل منه أحد غيرهم والجزاء من جنس العمل

عن سهل بن سعد –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، قال: ((إن في الجنة بابا يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)) ([١٢])

قال بد الدين العيني —رحمه الله – أي هذا باب يذكر فيه الريان الذي هو اسم علم لباب من أبواب الجنة مختص للصائمين ووزن ريان فعلان وقد وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه لأنه مشتق من الري الكثير الذي هو ضد العطش وسمي بذلك لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم واكتفى بذكر الري عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه وأفرد لهم هذا الباب إكراما لهم واختصاصا وليكون دخولهم الجنة غير متزاحمين فإن الزحام قد يؤدي إلى العطش،قوله إن في الجنة بابا قيل إنما قال في الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة فيكون أبلغ في التشويق إليه قلت وإنما لم يقل للجنة ليشعر أن باب الريان غير الأبواب الثمانية التي للجنة وفي الجنة

---

[١٠] - روي من حديث ابن شهاب مرسلا: أخرجه هناد (٣٥٨/٢، رقم ٦٨٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٦/٣ ، رقم ٣٥٨٣) .
حديث أنس: أخرجه ابن عساكر (١٠١/٣٨) .

[١١] -مدارك المرام في مسالك الصيام ص ٢٤ -٢٦

[١٢] – أخرجه: البخاري ٣٢/٣ (١٨٩٦)، ومسلم ١٥٨/٣–١٥٩ (١١٥٢) (١٦٦).

أيضا أبواب أخر غير الثمانية منها باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة على ما يجيء في الحديث الآتي([13])

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة)

فقال أبو بكر رضي الله عنه بأبي وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ . قال (نعم وأرجو أن تكون منهم) ([14])

سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال إن في الجنة لبابا يدعى الريان يدعى له الصائمون فمن كان من الصائمين دخله ومن دخله لم يظمأ أبدا ([15])

ونصوم رمضان حتى يشفع لنا يوم القيامة

عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعَبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رَبِّ، مَنَعته الطعامَ والشهوات بالنهار، فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعته النومَ بالليل، فشَفِّعْني فيه"، قالَ: "فيشفعانِ".([16]) .

ونصوم رمضان حتى نفرح في الدنيا والآخرة

—— أن الصوم سبب للسعادة في الدارين، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه"[(17)].

أما فرحته عند فطره فهي نموذج للسعادة واللذة التي يجدها المؤمن في الدنيا؛ بسبب طاعته وتقواه لمولاه سبحانه وتعالى، وهي السعادة الحقيقية.

---

[13]- عمدة القاري [جزء ١٠ - صفحة ٢٦٢]

[14] - -أخرجه: البخاري ٣٢/٣ (١٨٩٧) ، ومسلم ٩١/٣ (١٠٢٧) (٨٥) .

[15] - رواه الترمذي في الصوم باب ما جاء في فضل الصوم (٦٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٥٧٧).

[16] – صحيح الجامع: ٣٨٨٢ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

([17]) أخرجه البخاري (٦٧٠/٢، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١)، والنسائي (١٦٤/٤، رقم ٢٢١٧).

وفرحته عند فطره تأتي من جهتين: الأولى: أن الله تعالى أباح له الأكل والشرب في تلك اللحظة، والنفس– بلا شك– مجبولة على حب الأكل والشرب؛ ولذلك تعبدنا الله – تبارك وتعالى – بالإمساك عنهما.

الثانية: سرورًا بما وفقه الله–تعالى – إليه من إتمام صيام ذلك اليوم، وإكمال تلك العبادة، وهذا أسمى وأعلى من فرحه بإباحة الطعام له.

ونصوم رمضان حتى تكون رائحة الفم أطيب عند الله من ريح المسك

اعلم أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، وخلوف فمه هو: الرائحة التي تنبعث من المعدة–عند خلوها من الطعام–عن طريق الفم، وهي رائحة مكروهة عند الخلق، لكنها محبوبة عند الخالق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم –في الحديث المتفق عليه–: "والذي نفس محمد بيده؛ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك "[١٨].

وفي هذا دليل على أنه لا بأس من أن يستاك الصائم بعد الزوال؛ بل هو أمر مستحب –على القول الراجح الصحيح–في المواضع التي يستحب فيها السواك في كل حال: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند دخول المنزل، وعند الاستيقاظ من النوم... إلى غير ذلك من المواضع؛ لأن هذا الخلوف ليس من الفم، وإنما هو من المعدة .

وكما أن خلوف فم الصائم المكروه لدى المخلوقين أطيب عند الله — سبحانه–من ريح المسك؛ فكذلك دم الشهيد يوم القيامة له رائحة المسك، مع أن الدم –من حيث هو–مستقذر؛ بل هو نجس عند أكثر الفقهاء، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما مِن مكلوم [١٩] يُكْلَم في الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يَدمى، اللون لون دم، والريحُ ريح مسك"[٢٠].

---

(١٨) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٩) المكلوم: الذي فيه جراح، والكَلْم: الجراحة. مختار الصحاح (ص٢٤٠).

(٢٠) رواه البخاري (٥٥٣٣) ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصفة الثانية: رمضان شهر التقوى

اعلم –بارك الله فيك–: أن الغاية المنشودة من فريضة الصوم هي الوصول إلى التقوى فهي غاية الغايات

الغاية من خلق الجن والإنس هي العبادة قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات: ٥٦، ٥٧]

الغاية من العبادة التقوى قال تعالى { يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ٢١]

تعريف التقوى

يقول العلامة القيم رحمة الله " وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا و احتســـابا أمرا و نهيا ، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر و تصـــديقا بوعده ، و يترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهى و خوفا من وعيده

قال طلق ابن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى " قالوا وما التقوى؟

قـال: أن تعمـل بطـاعـة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصـــية الله على نور من الله تخاف عقاب الله " [٢١]" وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى "

فـان كـل عمل لابد له من مبدأ و غاية ، فلا يكون العمل طاعة و قربة حتى يكون مصـــدرة عن الإيمان فيكون البـاعـث عليه هو الإيمان المحض لا العادة و لا الهوى و لا طلب المحمدة و الجاه ، و غير ذلك بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان ، و غايته ثواب الله و ابتغاء مرضاته و الاحتساب ، و لهذا كثير ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي – ﷺ – من صام رمضان إيمانا و احتسابا " " ومن قام ليلة القدر إيمانا و احتسابا " [٢٢]

"فالتقوى ..... حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لأشواك الطريق ..... طريق الحياة .... الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح،

---

[٢١] – أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٤٧٣ وأبو نعيم في الحلية ج ٣ ص ٦٤ وسنده صحيح

[٢٢] – أخرجه البخاري رقم ٢١٤

وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً". ([٢٣])

فالصيام يورث العبد التقوى كما قال الله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]

و هذا ما اخبرنا به النبي — صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار".([٢٤])

قال النووي: هو بضم الجيم ومعناه سترة ومانع من الرفث والآثام ومانع أيضاً من النار، ومنه المجن وهو الترس، ومنه الجن لاستتارهم. ([٢٥])

و الصيام حصن حصين يمنع العبد من السقوط في بحر الشهوات عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعَبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رَبِّ، مَنَعته الطعامَ والشهوات بالنهار، فشفِّعْني فيه، ويقول القرآن: منعته النومَ بالليل، فشَفِّعْني فيه"، قال: "فيشفعان".([٢٦]) .

فإن قلت: كيف يحققها العبد ؟

الجواب بحول الملك الوهاب: إن الطريق إلى التقوى رسمه الله تعالى لنا ووضحه لنا رسول الله —صلى الله عليه وسلم–وإليك بيان ذلك:

تمام التقوى

قال أبو الدرداء: " تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشـــية أن يكون حراما، يكون حجابا بينه وبين الحرام، فإن الله قد بين للعباد الذي

---

[٢٣] – [في ظلال القرآن (١ / ٣٩)].

[٢٤] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، صحيح الترغيب برقم (٩٨٠)، وصحيح الجامع برقم (٣٨٨٠)

[٢٥] – شرح النووي(٢٥/٨)

[٢٦] – صحيح الجامع: ٣٨٨٢ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

يصيرهم إليه قال الله: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٧] فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه، ولا شيئا من الخير أن تفعله "([٢٧])

وقال الحسن " مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام

وهذا ما يصوره لنا النبي–صلى الله عليه وسلم –: فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه "[٢٨]

وتأمل حال إمام المتقين –صلى الله عليه وسلم –: كيف كان يحقق التقوى في مأكله فقد أخرج البخاري عن انس رضي الله عنه قال " مر النبي –صلى الله عليه وسلم –: –بتمرة مسقوطة فقال: لولا أن تكون صدقة لأكلتها "[٢٩]

عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال " تضور النبي–صلى الله عليه وسلم –ذات ليلة فقيل له ما أسهرك؟ قال: إني وجدت تمرة ساقطة فأكلتها، ثم ذكرت تمرا كان عندنا من تمر الصدقة فما أدرى أمن ذلك كانت التمرة أو من تمر أهلي فذلك الذي اسهرني " ([٣٠])

وهكذا علم أصحابه –صلى الله عليه وسلم –التقوى في المأكل والمشرب حتى أن أبا بكر يتقيأ من لقمة أكلها فيها شبهه مخافة أن ينبت منها شيئ فيدخل النار

وقالوا: كنا نترك تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام، ومن وسائل تحقيق التقوى: أن يستشعر العبد باطلاع الله عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد في الطاعة قال الله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]

---

[٢٧] – الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٢/ ١٩)

[٢٨] – أخرجه أحمد (٤/٢٧٠، رقم ١٨٣٩٨)، والبخاري (١/٢٨، رقم ٥٢)، ومسلم (٣/١٢١٩، رقم ١٥٩٩)، وأبو داود (٣/٢٤٣، رقم ٣٣٢٩، رقم ٣٣٣٠).

[٢٩] – أخرجه البخاري رقم ٢٠٥٥

[٣٠] – أخرجه الحاكم ح وصححه الذهبي في التل خيص٢١٧٣ والبيهقي في الشعب ح ٥٧٤٤

يقول العلامة ابن كثير –رحمه الله " أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر وبحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم "[٣١]

ويقول سبحانه وتعالى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس: ٦١] ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها أية بهذا المعنى

ثم قال " الإمام الشنيقطي –رحمه الله –[٣٢]اعلم أن الله تبارك وتعالى ما انزل من السماء إلى الأرض واعظا اكبر ولا زاجرا أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القران ، من انه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه رقيب عليهم وأمثالها في القران ، من انه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه رقيب عليهم ليس بغائب عما يفعلونه ، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم مثلا ليصير به كالمحسوس ، فقالوا : لو فرضنا أن ملكا قتالا للرجال سفاكا للدماء ، شديد البطش ، والنكال على من انتهك حرمته ظلما ، وسيافه قائم على رأسه ولنطع مبسوط للقتل والسيف يقطر دماء ،وحول هذا الملك الذي هذه صفته

جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحد من الحاضرين ([٣٣]) يهتم بريبه أو بحرام يناله من بيات الملك وأزواجه وهو ينظر إليهم عالم بأنه مطلع عليه ؟ لا وكلا، بل جميع الحاضرين يكونون خائفين وجلة قلوبهم خاشعة عيونهم ساكنة جوارحهم خوفا من بطش ذلك الملك ولا شك ولله المثل الأعلى إن رب السماوات والأرض جل وعلا اشد علما وأعظم مراقبة، واشد بطشا وأعظم نكالا وعقوبة من ذلك الملك وحماه في أرضه محارمه، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه وأنه مطلع على ما يقول وما يفعل وما ينوي لان قلبه وخشي الله تعالى وأحسن عمله لله جل وعلا "[٣٤]

---

[٣١] – تفسير ابن كثير جـ ٣٠٤/٤

[٣٢] – أضواء البيان ج٢ ص ٢٧٣

[٣٣] – كذا في الأصل ولعلها "يهم "

[٣٤] – أضواء البيان جـ ٩/٣–١٠

وقد دلت الأحاديث على ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات من وجوب مراقبة الله تعالى والاســـتحياء منه حق الحياء.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلاَءَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. ([٣٥])

وقال سـفيان بن عيينة – رحمه الله–" الحياء أخف التقوى ولا يخاف العبد حتى يستحى، وهل دخل أهل التقوى إلا من الحياء "فمن اسـتحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس "أي رأسـه " وما وعى " ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة، وحتى لا يستعملها إلا فيما يحل " وليحفظ البطن وما حوى " إي وما جمعه الجوف باتصـاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيء في معصية الله فان الله ناظر إلى العبد لا يواريه شيء " ([٣٦])

وعن أسامه بن شريك رضي الله عنه عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: "ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت " ([٣٧])

ومن وسائل الحصول على التقوى: أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

قال: الشيخ مصطفى السباعي – رحمه الله – إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم الناس، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان "

ويقول ابن القيم – رحمه الله – وملاك الأمر كله الرغبة في الله وإرادة وجهه والتقرب إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه وإلى لقائه فإن لم يكن للعبد همة على ذلك فالرغبة في الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همه عالية تطالبه بذلك فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه فإن لم تطاوعه نفسه لشيء من ذلك فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم ولا يقدر على ذلك بعد قدرة الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه فلم

---

[٣٥] – أخرجه أحمد (٣٨٧/١، رقم ٣٦٧١)، والترمذي (٦٣٧/٤، رقم ٢٤٥٨) وقال: غريب. والطبراني (١٥٢/١٠، رقم ١٠٢٩٠)، والحاكم (٣٥٩/٤، رقم ٧٩١٥) وقال: صحيح الإسناد. قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٩٣٥ في صحيح الجامع

[٣٦] – فيض القدير (١/ ٦٢٣)

[٣٧] – أخرجه ابن حبان (١٢٩/٢، رقم ٤٠٣)، والضياء (١٧٨/٤، رقم ١٣٩٣). قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٥٦٥٩ في صحيح الجامع

يجعـل الله طريقـا إلى الجنـة غير مخالفته، ولم يجعل للنار طريقا غير متابعته قال الله تعالى {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَـاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢)} [النازعات ٣٧ – ٤١]

وقال تعالى {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)} [الرحمن ٤٦]

قيل هو العبد يهوى المعصـــية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا ومقامة بين يديه في الآخرة فيتركها الله وقد أخبر الله عز وجل أن إتباع الهوى يضـــل عن ســـبيله فقال الله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)} [ص ٢٦]

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله انه أظلم الظالمين فقال الله عز وجل {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)} [القصص ٥٠]

وجعل سبحانه المتبع قسمين لا ثالث لها: إما ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإما الهوى فمن اتبع أحداهما لم يمكنه إتباع الآخر ([٣٨])

وهيا نتأمل هذا التدريب العملي لوصول إلى التقوى عندما ينازع العبد شيطانه ويدعه إلى الغواية والضلال مع واحد من أولى الألباب اقتحمت عليه الرزيلة بابه وتكشفت له عن مفاتنها التي تخلب الأنظار انه قاضى من قضاة الإسلام: إنه التابعي الجليل عبيد بن عمير * يسمى قاضى مكة وكان الصحابة يحضرون مجلس وعظة ويبكون فيه ويتأثرون ..... في يوم من الأيام كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج فنظرت إلى وجهها في المرآة فأعجبت بجمالها، وقالت لزوجها أترى أحد يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال نعم

قالت من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فلأفتنه، قال قد أذنت لك، قال فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المســجد الحرام فأســفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: اتق الله يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال إني سـائلك عن شـيء فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت لا تسألني عن شيء إلا قد صدقتك، قال: أخبريني: لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة

[٣٨] – كتاب التقوى ص ٣٦: ٣٧

قالت: اللهم لا: قال صدقت، قال: فلو أدخلت في قبرك وأجلست للمسألة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة، قالت: اللهم لا، قال: صدقت

قال: لو إن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت اللهم لا، قال صدقت

قال: فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت اللهم لا، قال قد صدقت

قال فلو وقفت بين يدي الله للمسألة أكان يسرك أني قد قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا

قال: صدقت

قال: اتق الله يا أمة الله فقد انعم الله عليك وأحسن إليك، فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعت؟ قالت أنت بطال ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول: مالي ولعبد بن عمير، أفسدت على امرأتي كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة " ([٣٩])

فهذه هي كمال التقوى أن يعلم أن الله أقرب إليه من حبل الوريد

إذا ما هممنا صدنا وازع التقى فولى على أعقابه الهم خاسئا

وقال آخر:

لا خير فيمن لا يراقب ربه عند الهوى ويخافه إيمانا

حجب التقى سبل الهوى فأخو التقى يخشى إذا وافى المعاد هوانا

فالله هو القائم على كل نفس في رزقها ومماتها وسعادتها وشقاوتها

قال الحارث المحاسبي: المراقبة علم القلب بقرب الرب.

ومما يوصل العبد إلى درجة التقوى ويحول بينه وبين المعاصي والشهوات ما أوضحه لنا إبراهيم بن أدهم – رحمه الله – فقد جاء رجل إليه فقال يا أبا إسحاق: إني مسرف فأشتهي أن تعلمني شيئاً أتنفع به؟ فقال – رحمه الله – إني معلمك خمسة خصال: إن قدرت عليها لم تصبك معصية ولا تؤنبك لذة.

قال: هات يا أبا إسحاق، قال أما الأولى: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل رزقه، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه ؟! قال أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟!!

قال: لا

وأما الثانية: إذا أردت أن تعصي الله فلا تسكن شيئاً من بلاده

---

[٣٩] – ذم الهوى ٢١٠ – ٢١١ ، و صور من الثبات على الإيمان ص ٤٠ –٤١

قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، ثم قال: إذا دكان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن ؟!

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ؟!! ويرى ما تجاهره به ؟!!

قال: لا، هات الثالثة

قال: إذا أردت أن تعصي الله فاذهب إلى مكان لا يراك فيه

قال الرجل: أين أذهب والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ؟!

قال: أفيحسن بك أن تعصاه وهو يراك ؟!

قال: لا هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل أخرني حتى أتوب توبة نصوحاً، وأعمل لله خالصاً.

قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع الموت عن نفسك وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟! قال: هات الخامسة:

قال: إذا جاءك الزبانية ليأخذوك يوم القيامة إلى النار فلا تذهب معهم، قال لا يدعوني ولا يقبلوا مني

قال: فكيف ترجو النجاة ؟!

قال الرجل: حسبي حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه ([٤٠])

وبعد هذا المنهج التربوي الذي قدمه أولوا الألباب يصل العبد إلى تقوى رب الأرباب ويحوز الأجر والثواب

التقوى الواجبة هي بفعل الواجبات وترك المحرمات، وقد أمرنا الله بها، فقال ـ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

فالصائم الذي يضيع الصلاة عن وقتها أو مع الجماعة في المسجد لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يعق والديه لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يشرب الخمر أو الدخان أو يتناول المخدرات لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يفطر عمدا بدون عذر شرعي لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يزني لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يسرق لم يحقق تقوى الله في صيامه

---

[٤٠] – الدر المنظوم ص ٤٥ – ٤٦

والصائم الذي يأكل الربا والرشوة ويتعامل بهما لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يكذب ويغتاب وينم ويلعن ويشتم لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي ينظر إلى المحرمات ويتابع المسلسلات الهابطة لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يغش في بيعه وشرائه ومعاملاته لم يحقق تقوى الله في صيامه

والصائم الذي يؤذي جيرانه لم يحقق تقوى الله في صيامه

وهؤلاء كلهم قد خسر الثمرة من هذا الصيام الذي لم يشرعه الله لمجرد الامتناع عن الطعام والشراب عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فَليسَ للهِ حاجة فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ». ([41])

شرف التقوى ومنزلتها

اعلم– بارك الله فيك–: أن لأهمية التقوى ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في أكثر من مائتين وخمسين موضعاً بل إنها تتكرر في الآية الواحد مرتين أو ثلاث مرات مثال ذلك قال جل وعلا {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)**} (الحشر ١٨)

وتكررت في أخرى ثلاث مرات يقول سبحانه {**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)**} (المائدة ٩٣)

يقول سيد قطب — رحمه الله — " والتقوى حساسية في الضمير وشفافية في الشعور وخشية مستمرة وحذر دائم وتوق لأشواك الطريق ... طريق الحياة ... الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس ... وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء ولا الخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً وعشرات غيره من الأشواك ...] ([42])

---

[41] – أخرجه أحمد (٢/٤٤٣، رقم ٩٧١٧)، والبخاري (٥/٢٢٥١، رقم ٥٧١٠)،

[42] – في ظلال القرآن جـ ١ / ٣٩

التقوى هـــي أفضل نراد يتزود به لعبد

اللّه تعالى أمر عباده المتيقن العاملين في محراب الحياة أمرهم بالتزود وأن يأخذوا لأنفسهم زاداً لا ينفذ مع طول السفر، بل يبقي معهم في الدارين الدنيا والآخر ... وجه الخطاب لأولي الألباب لأنهم المقصودون من الخطاب فقال

سبحانه وتعالى {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)} (البقرة ١٩٧)

يقول ابن كثير – رحمه اللّه – وقوله " {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما

قال تعالى {وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف: ٢٦] لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع

قال عطاء الخرساني قوله {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} يعني زاد الآخرة وقال الزمخشري – رحمه اللّه – أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح، فإن خير الزاد اتقائها.

وقيل: كان أهل اليمين لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت اللّه أفلا يطعمنا؟ فيكونون كلاً على الناس، فنزلت فيهم [٤٣]

ومعناه وتزودا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى { واتقون } وخافوا عقابي { يا أولي الألباب } يعني أن قضية اللب تقوى اللّه ، ومن لم يتقيه من الألباب فكأنه لا لب له [٤٤]

لهذا كان السلف من أولي الألباب يوصي بعضهم بعضاً بها، وأن يجعلوها زادهم في الدنيا والآخرة، فعليها مدار سعادة العبيد واسمع إلى تلك الوصايا ... كتب أحد السلف إلى أخيه " أم بعد أوصيك بتقوى اللّه الذي هو نجيك في سريرتك ورقبيك في علانيتك فاجعل اللّه من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف اللّه بقدر قربة منك وقدرته عليك، وأعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك قلبك والسلام "

---

[٤٣] – أخرجه البخاري جـ ٤ ص ١٢٧ عن ابن عباس، وأخرجه أبو داود جـ ١٢ ص ٧٥ وعبد بن حميد والنسائي

[٤٤] – وذكره الشيخ مقبل في الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٣١

وكتب رجل من السلف إلى أخ له: أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك الثواب] ([٤٥])

تزود من التقوى فإنك لا تـــدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفــجر

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهو لا يــدري

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسامهم ظلمه القبر

وكم من عروس زينوهــا لزوجــها وقد قبضت أرواحهم ليلة القــدر

وكم من صحيح مات من غير عــلة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

وصدق الله العظيم إذ نادى عباده وحث عليها بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

ومن شرفها أنها أجمل اللباس:

فأجمل ما يتزين به العباد تقوى الله عز وجل فهي خير ما يلبســه المؤمنون قال تعالى {**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)**} (الأعراف ٢٦)

لباس التقوى أحصن جنة يتحصن بها الخائفون، وخشية الله أوثق عروة يمسك بها المتمسكون، وأداء فريضة الله واجتناب محارم الله أنجح وسيلة توسل بها إلى الله المتوسلون

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ومن شرفها أنها وصية الله للأولين والآخرين

يقول الشــيخ أحمد فريد – حفظه الله – قال الله تعالى {**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي**

[٤٥] – الكشاف جـ ١ص ٢٤٤ – وكتاب التقوى ٢١

الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا} (النساء ١٣١)

أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، أليس الله هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للأجر ، وأجل في العبودية ، وأعظم في القدر وأولى بالحال وأنجح في المال ، من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله تعالى أمر بها عبادة ، وأوصى خواصه بذلك لكمال وجمع حكمته وسعة رحمته فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها علمت أنها الغاية التي لا متجاوز عنها ، ولا مقصود دونها ، وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الخصلة الواحدة ، كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات ، وهذا أصل لا مزيد عليه ، وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى الله والله ولي الهداية والتوفيق] ([٤٦])

وهكذا أوضح الله لنا أعظم الصفات وأحبها إليه ووصانا بها وأن نستمر عليها، فهي المحرك لجميع الأعمال، والمقرب لجميع الطاعات والقربات فبها صام الصائمون ولتحقيقها قام القائمون، وهي حادي الحجاج إلى بيت الله الحرام ومن أثرها خاف الخائفون وبكي الباكون فهي مفتاح الطاعات والتحبب إلى رب الأرض والسموات فلا غرو أن يوصي المولى جل وعلا بها الأولين والآخرين

وهي وصية الرسول – ﷺ – لأمته : –

وها هو الحبيب – ﷺ – يوصي أمته بتلك الدرة الغالية أمرهم أن يعتصموا بها في وقت الأزمات وعند الشدائد والمحن فهي سفينة النجاة التي من ركبها فلن تضره فتنة ما دامت السموات والأرض .

عن العرباض بن سارية قال " صلى بنا رسول الله – ﷺ – الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله : كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم

[٤٦] – التقوى ص ١٤

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة] ([٤٧])

قال ابن رجب – رحمه الله " فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها وهي وصية الله للأولين والآخرين، وأم السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيهما سعادة الدنيا، وبها تنظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم]

[٤٧] – أخرجه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٤٥٨٣، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجة والدار مي والبغوي في شرح السنة وصححه الألباني

الصفة الثالثة: رمضان شهر القرآن

اعلم –علمني الله و إياك و زادك الله علما و فهما–: أن الله — تعالى ربط في كتابه الكريم بين صوم رمضان، والقرآن الكريم ، فقال : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥] ، وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١] وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} [الدخان: ٣]

وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:" أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". ([٤٨])

فأهل الصيام هم أهل القرآن الذين مدحهم الله تعالى بقوله {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩، ٣٠].

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله أهلين من الناس فقيل من أهل الله منهم قال أهل القرآن هم أهل الله "([٤٩])

روضوا على منهج القرآن أنفسكم يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا

و القران يشفع لأهله يوم القيامة عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه "، قال: «فيشفعان»([٥٠]).

وها هو التكريم الأعظم لأهل القران يوم القيامة وعن أبى هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة.

---

[٤٨] – أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٥)، والطبراني (٧٥/٢٢، رقم ١٨٥) وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (١٥٠٩).

[٤٩] – أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٣، رقم ٢١٢٤) ، وأحمد (١٢٧/٣ ، رقم ١٢٣٠١) ، والنسائي في الكبرى(١٧/٥ ، رقم ٨٠٣١) ، وابن ماجه (٧٨/١ ، رقم ٢١٥) ، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٢١٦٥ في صحيح الجامع

[٥٠] – أخرجه أحمد (١٧٤/٢، رقم ٦٦٢٦)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٨١/٣) قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح. انظر صحيح الجامع: ٣٨٨٢، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة) ([٥١])

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن في رمضان على جبريل عليه السلام، فكان يدارسه القرآن.

عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.([٥٢])

حال السلف مع القران في رمضان

قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه. ([٥٣])

علو الهمة عند السلف في تلاوة القرآن وختمه أكثر من مرة بصور عجيبة:

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها.

كان الأسود بن يزيد: يقرأ في كل ليلتين في رمضان.

وكان إبراهيم النخعي: يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة وفي بقية الشهر في ثلاث.

وكان قتادة: يختم في كل سبع دائما، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة. وعن أبي حنيفة نحوه .([٥٤])

ثم قال الإمام ابن رجب رحمه الله بعد ذكر هذه الآثار: وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالي التي يطلب فيها

---

[٥١] – أخرجه الترمذي (٥/١٧٨، رقم ٢٩١٥) وقال: حسن صحيح. والحاكم (١/٧٣٨، رقم ٢٠٢٩) (صحيح الجامع٨٠٣٠) .

[٥٢] – أخرجه أحمد ١/٢٣٠(٢٠٤٢) والبخاري" ١/٤(٦) و٤/٢٢٩(٣٥٥٤).

[٥٣] – لطائف المعارف: صـ٢٤٦ .

[٥٤] – لطائف المعارف: صـ٢٤٦ .

ليلة القدر أوفي الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره. ([٥٥])

وعن محمد بن مسعر قال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن.

وعن ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، والتلاوة.

وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس.

وقال البغوي: أخبرت عن جدي أحمد بن منيع رحمه الله أنه قال: أنا من نحو أربعين سنة أختم في كل ثلاث.

وعن مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة.

وقال سليمان بن يسار رحمه الله: قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها.

وعن ابن سيرين: أن تميماً الداري كان يقرأ القرآن في ركعة.

وعن الحارث بن يزيد: أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن في كل ليلة ثلاث مرات.

وقال ابن شوذب: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل.

الإمام حمزة بن حبيب الزيات، القيم بكتاب الله، العابد الخاشع، القانت لله يقول: نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري.

قال يحيى اليماني: لما حضرت الوفاة أبا بكر بن عياش بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة([١٨]). .([٥٦])

---

[٥٥] – لطائف المعارف: صـ٢٤٦ ٠

[٥٦] – ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله: للدكتور سيد حسين العفانى جـ٢صـ١٢١–١٢٦ ٠

وثابت اللبناني قال عنه شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر.

وقال أسد بن الفرات: كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين قال: فنزل بي حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله: كان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهار ومرة في الليل.

أبو العباس بن عطاء: له في كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

الحافظ بن عساكر: كان يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم.

وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة.

الإمام البخاري رحمه الله: كان يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

أما إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقد قال عنه جعفر ابن أب هاشم: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون.

وقال الإمام علي بن المديني شيخ البخاري: حفر شبر الحافي قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن.

شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطنسي: كان يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين، وأكب في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبة لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

والشيخ الفاضل محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي: كان كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن سراً وجهراً، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي أبو عبد الله الحلفاوي التونسي نزيل غرناطة يعرف بابن المؤذن: كان صاحب مقامات وكرامات، حسن الصلاة جداً، وكان يختم في رمضان مائة ختمة. ([٥٧])

يقول ابن رجب: (يا من ضيع عمره في غير الطاعة، يا من فرط في شهره بل في دهره وأضاعه، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟). ([٥٨])

فعلينا في شهر القرآن أن نحسن التعامل مع القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا، وأن نشجع أولادنا على حفظه وتلاوته ، وأن نجعل من رمضان فرصة لتكريم حفظة القرآن الكريم ، وإعطاء الفرصة للأصوات الندية للقراءة في صلاة القيام والتهجد ، حتى يصعد القرآن للخالق ويدعوا لنا ، فيقول اللهم احفظهم كما حفظوني ، وأكرمهم كما أكرموني ، وشرفهم كما شرفوني ، وشفعني فيهم يوم القيامة .

أَكْـرِمْ بقـومٍ أَكْرَمُـوا القُرآنـا * * * وَهَبُـوا لَـهُ الأرواحَ والأَبْـدَانـا

قومٌ قد اختـارَ الإلـهُ قلوبَهُـمْ * * * لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُـدى بُسْتَانـا

زُرِعَتْ حُروفُ النورِ بينَ شِفَاهِهِمْ * * * فَتَضَوَّعَتْ مِسْكـاً يَفِيـضُ بَيَانَـا

رَفَعُوا كِتابَ اللهِ فـوقَ رُؤوسِهِـمْ * * * لِيَكُونَ نُوراً في الظـلامِ... فَكَانـا

سُبحانَ مَنْ وَهَبَ الأُجورَ لأَهْلِهَـا * * * وَهَدى القُلُوبَ وَعَلَّمَ الإنسانـا

يَا رَبِّ أَكْرِمْ مَـنْ يَعيـشُ حَيَاتَـهُ * * * لِكِتَابِـكَ الوَضَّـاءِ لا يَتَـوَانـى

واجْعِلْ كِتَابَـكَ بَيْنَنَـا نُـوراً لنـا * * * أَصْلِحْ بِهِ مَـا سَـاءَ مِـنْ دُنْيَانـا

---

[٥٧] – ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله: للدكتور سيد حسين العفاني جـ٢صـ١٣٠–١٣٤ ٠

[٥٨] – لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٧٣)

التبيان في بيان حقوق القران

أمة الإسلام: نعيش مع خير كتاب أُنزل، هو دستور هذه الأمة بل هو الروح الذي به تحيا الأمة وتبعث من ظلمة الشرك والكفر {وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى: ٥٢، ٥٣]

وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدْيٍ وغي. فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد ". ([٥٩])

فما كان إلا نور الشمس: لا يزال الجاهل يطمع في سرابه ثم لا يضع منه قطرة في سقائه، ويلقى الصبي غطاءه ليخفيه بحجابه ثم لا يزال النور ينبسط على غطائه...

ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة... ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ..." ([٦٠])

فما هي حقوق القران الكريم؟

وما هو دور الأمة الإسلامية في إرساء هذه الحقوق؟

وما هي أثار تلك الحقوق إذا طبقتها الأمة في حياتها اليومية؟

الحق الأول: حق الإيمان والتصديق:

أمة القران: إن الله تعالى أنزل القران الكريم وأوجب علينا حقوقا نحوه لا يتم الإيمان ولا يكتمل الإسلام إلا إذا تحلى بها المسلم والمسلمة. بعضها فيصل بين الكفر والإيمان، وبعضها من زينة أهل الإيمان ومن علامات الخضوع للرحمن نذكر منها في هذا اللقاء ما يلي

فالحق الأول حق الإيمان والتصديق:

و هذا من أعظم الحقوق الذي بدونه يكفر الإنسان و لا يكون من أولياء الرحمن قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: ١٧٠]،

وقال الله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء: ١٣٦]،

---

[٥٩] – [الإتقان: ١ / ٣٩]

[٦٠] – إعجاز القرآن: ٢٩ ـ ٣٠]

يقول ابن كثير: قوله: {وَالْكِتَابِ الَّذِي نزلَ عَلَى رَسُولِهِ} يعني: القرآن {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ} وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة، ([٦١])

وقد قال الله تعالى في صفة عباده المؤمنين: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص: ٥٢]، و تأملوا أيها الأحباب إلى تأثر علماء أهل الكتاب بالقران عندما يسمعوه: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[المائدة: ٨٣]

الواقع التطبيقي لهذا الحق

عن ابن عباس : {ا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى } [المائدة: ٨٢] ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغ ذلك المشركين ، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ، ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فقالوا : إنه خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها ، زعم أنه نبي ، وإنه بعث إليك رهطا ليفسدوا عليك قومك ، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم . قال : إن جاءوني نظرت فيما يقولون . فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأموا باب النجاشي فقالوا: أستأذن لأولياء الله؟ فقال: ائذن لهم، فمرحبا بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا ، فقال له الرهط من المشركين : ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك ، لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها ؟ فقال لهم : ما منعكم أن تحيوني بتحيتي فقالوا : إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة . قال لهم : ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه ؟ قال : يقول : هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، ويقول في مريم : إنها العذراء البتول . قال : فأخذ عودا من الأرض فقال : ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود ، فكره المشركون قوله ، وتغيرت وجوههم . قال لهم : هل تعرفون شيئا مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم . قال : اقرءوا ، فقرؤوا ، وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى ، فعرفت كل ما قرأوا ، وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق . قال الله تعالى ذكره : {ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول} الآية.. ([٦٢])

أظلم الناس من كذب بالقران: قال الله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} [الزمر: ٣٢].

---

[٦١] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (٢/ ٤٣٤)

[٦٢] –) التفسير ١٠/٤٩٩–٥٠٠ ح ١٢٣١٧) ، وأخرجه ابن أبي حاتم (التفسير – سورة المائدة آية ٨٣ ح ٤٢٨)

إيمان الجان بالقران

روى البخاري: عن ابن عباس قال: "انطلق رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشُهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُهب. قال: ما حالَ بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟

فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تِهامة إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم –بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا، إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحداً. وأنزل الله عز وجل على نبيه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –(قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحي إليه قول الجن". (٦٣)

الحق الثاني: حق التلاوة

إخوة الإسلام: ومن حقوق القرآن التي بينها لنا الملك الديان في غير ما آية من كتابه حق التلاوة تلاوة القرآن من الحقوق الجليلة التي أمر الله بها نبيه والأمةَ بعده؛ فقال تعالى لنبيه: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: ٤]،

: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} [النمل: ٩١، ٩٢]،

وقد مدح الله تعالى الذين يتلون القرآن حق التلاوة فقال: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة: ١٢١]

عن ابن عباس في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال: يتبعونه حق اتباعه. ثم قرأ إذا تلاها يقول: اتبعها. (٦٤)

(يتلونه حق تلاوته)، أي يفهمون أسراره ويفقهون حكمة تشريعه. وفائدة نوط التكليف به، لا يتقيدون في ذلك بآراء من سبقهم فيه، ولا بتحريفهم كلمه عن مواضعه (٦٥)

---

٦٣ – (صحيح البخاري ٨/٥٣٧–٥٣٨ ك التفسير–سورة الجن ح ٤٩٢١. صحيح مسلم ٤/٣٣١–٣٣٢

٦٤ – الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/ ٢٢٦)

٦٥ – تفسير المنار (١/ ٣٦٨)

المرحلة الأولى: نحقق فيها المعنى الأول للتلاوة وهو القراءة، فنحسن قراءة آيات القرآن، ونتقن أحكام ترتيل القرآن، وننفذ قول الله تعالى: (ورتِّل القرآن ترتيلاً) (المزمل: ٤).

المرحلة الثانية: نحقق فيها المعنى الثاني للتلاوة، وهو الاتباع، فنحسن اتّباعنا للقرآن، من خلال صدق التزامنا به، وتدبّرنا له، وتنفيذنا لأحكامه.

والمرحلة الأولى يجب أن تقودنا إلى المرحلة الثانية، فمن حقق المرحلتين فهو رجل قرآني حقاً، وهو قد تلا القرآن حقّ تلاوته. أما من اكتفى بالمرحلة الأولى: وأهمل المرحلة الثانية؛ فهو آثم معذَّب عند الله، والقرآن حجة وشاهد عليه يوم القيامة، ولا ينفعه تلاوته لآياته وأحكامه وإتقانه لقراءتها، لأنه أهمل تطبيقها والتزامها.

لا يجوز أن نهمل المرحلة الأولى من التلاوة، فيجب أن نحسن قراءة آيات القرآن، وأن نتقن أحكام الترتيل، لكن لا يجوز أن نكتفي بهذه المرحلة وأن نتوقف عند القراءة.

والمشكلة أن بعض المسلمين يكتفي بتلاوة وقراءة آيات القرآن، فيحرص على إتقان أحكام الترتيل وتجويد الصوت ولا يتسامح في حركة من حركات الترتيل، أو مخرج من مخارج الحروف، ولكنك عندما تنظر في اتباعه للآيات التي أحسن قراءتها فلا تكاد ترى من ذلك الاتباع شيئاً.

يجب أن نتلو القرآن حق تلاوته، وأن توجد في حياتنا عملياً هذه الجملة المعجزة الموجزة (يتلونه حق تلاوته).

إن حق التلاوة يعني أن نقرأ آيات القرآن حق القراءة، ثم أن نتبع أحكام القرآن حق الاتباع، وأن ننفذها حق التنفيذ، وأن نلتزم بها ([٦٦])

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الماهر بالقرآن في معيَّة الملائكة الكرام فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران" ([٦٧])

وقد بين لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم–فضل تلاوة القران الكريم ورتب عليها الثواب العظيم فعن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (آلم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" ([٦٨])

---

[٦٦] – موقع جمعية الاتحاد الإسلامي مقال: يتلونه حق تلاوته للدكتور صلاح الخالدي

[٦٧] – أخرجه البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير: ٨٠ سورة عبس

[٦٨] – أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢١٦/١)، والترمذي (١٧٥/٥، رقم ٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب. والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٢/٢، رقم ١٩٨٣)

فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيامُ: أيْ ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعتُه النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان". ([٦٩])

حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على قراءة القران : و قد كان النبي – صلى الله عليه و سلم حريصا على قراءة القران و الاستماع إليه من غيره و إليك طرفا من ذلك ، فقد أمر عبد الله أن يقرأ عليه القرآن ، فعن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله —صلى الله عليه وسلم " اقرأ علي القرآن : قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري ،فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء : ٤١]} فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان . ([٧٠])

حرص عبد الله بن عمر —رضي الله عنه–

عن عبد الله بن عمرو قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها، مما بي من القوة على العبادة، من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته، حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يعرف لنا فراشا، فأقبل علي، فعذمني، وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها ، وفعلت، وفعلت ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاني، فأرسل إلي النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته، فقال لي: " أتصوم النهار ؟ " قلت: نعم، قال: " وتقوم الليل؟ " قلت: نعم، قال: " لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " قال: " اقرأ القرآن في كل شهر "، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: " فاقرأه في كل عشرة أيام "، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، – قال أحدهما، إما حصين وإما مغيرة – قال: " فاقرأه في كل ثلاث "، قال: ثم قال: " صم في كل شهر ثلاثة أيام "، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل يرفعني حتى قال: " صم يوما وأفطر يوما، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود " صلى الله عليه وسلم "([٧١])

---

[٦٩] – (أخرجه أحمد) ٦٦٢٦، (و الحاكم) ٢٠٣٦، انظر صحيح الجامع: ٣٨٨٢ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤

[٧٠] – أخرجه أحمد (٣٨٠/١، رقم ٣٦٠٦)، ومسلم (٥٥١/١، رقم ٨٠٠)، وأبو داود (٣٢٤/٣، رقم ٣٦٦٨). أخرجه أيضاً: البخاري (١٩٢٧/٤ رقم ٤٧٦٨) والترمذي (٢٣٨/٥ رقم ٣٠٢٥) والبيهقي (٢٣١/١٠ رقم ٢٠٨٤٦)

[٧١] –) أخرجه البخاري (١٩٢٧/٤، رقم ٤٧٦٧)، ومسلم (٨١٤/٢، رقم ١١٥٩)، وأبو داود (٥٤/٢، رقم ١٣٨٨). وأخرجه أيضاً: البيهقي (٣٩٦/٢، رقم ٣٨٦٣).

حرص تميم الداري –رضي الله عنه–. عن محمد بن سير بن –رحمه الله–قال: كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة وعن أبي قلابة –رضي الله عنه–: كان تميم الداري يختم القرآن في سبع ليال" ([٧٢])

حرص أسيد بن حضير –رضي الله عنه–

عن أسيد بن حضير قال :بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذا جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتراه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي – النبي – صلى الله عليه وسلم– فقال له : اقر أبن حضير اقرأ يا بن حضير ، قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان قريبا فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها : قال وتدري ما ذاك ، قال: لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم " ([٧٣])

وها هو يحي الليل بالقرآن ويسمع النبي – صلى الله عليه وسلم– فيدعو له عن عبد الله أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مر بين أبى بكر وعمر وعبد الله قائم يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها – يقرأها قراءة مفصله – فقال " من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد (فأخذ) عبد الله في الدعاء ، فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول " سل تعطى (فكان) في ما سأل اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ، ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد – صلى الله عليه وسلم– في أعلى جنان الخلد فقال عمر : لأغدون على عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على دعاءه ، فأتى عمر " عبد الله " فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال : إنك لسباق بالخير" ([٧٤])

الحق الثالث: حق التدبر

أحباب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–إن من حقوق القران الكريم على امه النبي الأمين–صلى الله عليه وسلم–حق التدبر والتفكر فيما فيه من عجائب باهرات وحجج قاطعات وأدلة ساطعات على أنه رب الأرض والسماوات

---

[٧٢] – تاريخ الإسلام للإمام الذهبي –(٣ / ٦١٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد – (٢ / ١١٥)

[٧٣] –) أخرجه أحمد ح ١١٧٦٦ ، و البخاري جـ ٥٠١٨. وأخرجه مسلم (٧٩٦) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٤٤)

[٧٤] – أخرجه أحمد " ١ / ٤٤٥، ٤٥٤، وأخرجه الحاكم بنحوه ٣ / ٣١٧، و أبو يعلى ح ٥٠٥٨، و قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٩٦١ في صحيح الجامع .

لذا الله دعانا لتدبر كتابه وتأمل معانيه وأسراره: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ) [ص: ٢٩].

وقد و لقد ذم الله تعالى أقواما لا يتدبرون القران فقال : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) [النساء: ٨٢،

الناس عند سماع القرآن أنواع:

قال تعالى في آياته المشهودة: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق: ٣٦، ٣٧].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "الناسُ ثلاثةٌ: رجلٌ قلبُه ميتٌ، فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوةِ، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُرُودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصُلُ له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغلْه بغير فهم ما يسمعُهُ، فهو شاهدُ القلب، مُلقي السَّمع، فهذا القِسمُ هو الذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسُّطٍ من البُعد والقربِ، فهذا هو الذي يراه.

فسبحان من جعل كلامه شفاءً لما في الصدور. ([٧٥])

الواقع التطبيقي لهذا الحق:

فاذا أسقطنا هذا الحق على الواقع التطبيقي في حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–وأصحابه–رضي الله عنهم أجمعين لرأينا ما يلي:

المثال الأول: النبي – صلى الله عليه وسلم–

---

[٧٥] – مدارج السالكين (١/ ٤٤٣)

قال ابن عمير– رحمه الله – لعائشة – رضي الله عنها : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها {إن في خلق السموات والأرض ... }» الآية كلها [آل عمران: ١٩٠]. ([٧٦])

تدبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه

* تحدثنا أم المؤمنين عائشة عن أبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنهما أنه كان ذا رقة وحساسية ولا يملك نفسه من البكاء عند تلاوة القرآن، قالت: (إنّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ) وفي رواية (أَسِيفٌ) وفي روايةٍ: (كان أبو بكر رجلا بكّاءً؛ لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن)! ([٧٧])

وفي حديث عائشة –رضي الله عنها –أنها ، قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم – حين أمر أبا بكر بالصلاة في مرضه : إن أبا بكر رجل أسيف فمتى ما يقم مقامك يغلبه البكاء ([٧٨]) أي سريع البكاء والحزن ، وقيل : هو الرقيق.

قال أبو عبيد: الأسيف السريع الحزن والكآبة، في حديث عائشة، قال: وهو الأسوف والأسيف ([٧٩])

المثال الثاني – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–عن جعفر بن زيد العبدي قال: خرج عمر يعس بالمدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: {والطور.} حتى بلغ: {إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع} (الطور: ٧–٨) ..... قال: قسم ورب الكعبة حق. فنزل عن حماره. واستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه. رضي الله عنه. ([٨٠])

الحق الرابع: حق العمل به

اعلم علمني الله تعالى وإياك: أن الله تعالى انزل القران ليعمل به ولتنفذ أحكامه وآدابه على أرض الواقع لتتحول الأمة إلى قران يمشي على ظهر الأرض يفيض هداية ورحمة

---

[٧٦] – (أخرجه ابن حبان) ٦٢٠، انظر الصحيحة: ٦٨ ،و صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٨

[٧٧] – (فتح الباري ٦٣٧/٧)

[٧٨] – مسند أحمد ط الرسالة (٤٢/ ١٥٣) أخرجه البخاري (٣٣٨٤)

[٧٩] – لسان العرب لابن منظور (١/ ٧٩)

[٨٠] – تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن (ص: ٤١٦) وهو ضعيف

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت قول الله تعالى (يا أيها الذين امنوا) فأرعها سمعك، فإنها خير يأمر به، أو شر ينهى عنه" ([٨١])

عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: " إنا أخذنا القرآن عن قوم، فأخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعملوا ما فيهن من العلم، قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعا ، وإنه سيرث هذا القرآن قوم بعدنا يشربونه كشربهم الماء ، لا يجاوز تراقيهم ، قال: بل لا يجاوز ههنا ، ووضع يده تحت حنكه " ([٨٢])

الجانب التطبيقي للعمل بكلام الرب العلي

فاذا أسقطنا ذلك الحق على الواقع التطبيقي في حياة الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين لرأينا كيف تحولوا إلى قران يمشي على الأرض يعملون بما يحفظون

ثابت بن قيس من أهل الجنة.

عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} إلى قوله {وأنتم لا تشعرون} ، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت ، فقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حبط عملي ، أنا من أهل النار ، وجلس في أهله حزينا ، فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بعض القوم إليه ، فقالوا له : تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك ؟

فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي، وأجهر بالقول حبط عملي، وأنا من أهل النار، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبروه بما قال، فقال: لا، بل هو من أهل الجنة قال أنس: وكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل. ([٨٣])

نساء الصحابة عاملات بالقرآن الكريم

عن عائشة –رضي الله عنها –قالت: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) (٣١) سورة النــور. شققن مروطهن فاختمرن بها) ([٨٤])

---

[٨١] – تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ١٠٩)

[٨٢] – البدع لابن وضاح (٢/ ١٧٠)

[٨٣] –) أخرجه أحمد (١٩/ ٣٩٢) عبد بن حميد (١٢٠٩) ، وأبو عوانة ٦٩/١، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٣٥٤/٦ وأخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" (٥٥٧) ، ومسلم (١١٩) (١٨٨) ، وأبو يعلى (٣٣٣١) ،

[٨٤] – أخرجه البخاري في التفسير ترجمة الباب ١٣ : ٣٤ تعليقا وأبو داود في اللباس (١ : ٢٢)

ولابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن خثيم عن صفية قالت: (ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أُنْزِلَتْ سورة النور (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرْطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان) ([٨٥])

فليت نساء المسلمين اليوم تقرأ هذه النماذج، فطالما سمعوا آيات الله تتلى آناء الليل وأطراف النهار، ولكن آيات الله في واد، وهن في واد فإلى الله المشتكى، وحسبنا الله ونعم الوكيل

المنافقون قول بلا عمل

أما المنافقون فهم قوم يقرؤون القران ولا يجاوز حناجرهم لا يؤمنون به ولا يتدبرونه على قلوبهم أقفال النفاق يقول الله تعالى: {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور:٤٧].

عن أنس بن مالك عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلوٌ ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيبٌ وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر وفي رواية ومثل الفاجر في الموضعين بدل المنافق" ([٨٦])

الحق الخامس: التحاكم إلى القرآن

اعلموا عباد الله أن الله تعالى علق الإيمان بالتحاكم إلى كتابه وسنه نبيه — صلى الله عليه وسلم–قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} (النساء/٦٥)

واعلموا أن ما فيه الأمة من تخبط ومن قلاقل إنما سببه الوحيد هو تنحية كتاب الله تعالى والتحكم إلى غيره و قد حكم احكم الحاكمين على من فعل ذلك بالضلال المبين فقال: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} (الأحزاب/٣٦)

---

[٨٥] – (فتح الباري (٣٤٧/٨) كتاب التفسير باب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) .

[٨٦] – أخرجه أحمد (٤٠٣/٤، رقم ١٩٦٣٠) ، والبخاري (٢٠٧٠/٥ ، رقم ٥١١١) ، ومسلم (٥٤٩/١ ، رقم ٧٩٧) ، وأبو داود (٢٥٩/٤ ، رقم ٤٨٣٠) ،

ثم اعلموا علمني الله و إياكم أنه لا يجوز الفصل بين ركن و ركن فالإيمان لا يتجزأ قال تعالى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة / ٢٨٥)

قال ابن كثير على هذه الآية: فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه. ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مَهْديون هادون إلى سُبُل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نُسخ الجميع بشرع محمدّ صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين. ([٨٧])

إخوة الإسلام ما انزل الرحمن القران إلا ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ} (المائدة/٤٨)

تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً} (النساء/١٠٥)

يبين لنا سبحانه: إنه أنزل إلي الرسول–صلى الله عليه وسلم –القرآن مشتملا على الحق الواضح، ليحكم بين الناس جميعًا بما أوحى الله تعالى إليه، وبَصَّره به، فلا تكن يا رسول الله للذين يخونون أنفسهم –بكتمان الحق–مدافعًا عنهم بما أيدوه لك من القول المخالف للحقيقة

وليس الأمر متروكا للأهواء والآراء بالله هو لرب الأرض والسماء قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}

واللهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّها ** لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلاخَ القَلْبِ مِنْ ** تَحْكِيمِ هَذَا الوحْيِ والقُرْآنِ
وَرِضَا بِآرَاءَ الرِّجَالِ وَخُرْصِهَا ** لا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ
فَبأيِّ وَجْهٍ أَلْتَقِي رَبِّي إِذَا ** أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وَعَزْلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لأَجْلِهِ ** عَزْلاً حَقِيقِيًا بلا كِتْمَانِ

[٨٧] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (١/ ٧٣٦)

الحق السادس: حق الاستشفاء به

أمة الإسلام: إن نصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تدل على أن كتاب الله تعالى كله شفاء لما يعرض للإنسان من أمراض ظاهرة أو باطنة، ويدخل في ذلك السحر وغيره.

فقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: ٨٢].

وإذا أمعنا النظر في كلمة (شفـــاء) لم يقل دواء لأن الدواء قد يكون خاص، ولكنه قال شفاء، والشفاء عام، يقول ابن القيم في زاد المعاد: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة....) الخ. ويقول كذلك: (فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله). (٨٨)

ولا بد من اليقين وحسن الظن بالله؛ لأن من شروط انتفاع العليل بالدواء قبوله واعتقاده، وأن لا يأخذ كلام الله من باب التجربة؛ لأن هذا خلل في الاعتقاد ولا بد من يقين جازم من قبل الراقي والمرقي عليه.

الواقع التطبيقي لهذا الحق:

المثال الأول:

العلاج بالمعوذات (سورة الناس والفلق والإخلاص) تروي أمنا عائشة رضي الله عنها–أن رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كان إذا مرض أحدٌ من أهلِه، نفثَ عليهِ بالمعوِّذاتِ. فلما مرض مرضَه الذي مات فيهِ، جعلتُ أنفثُ عليهِ وأمسحُه بيدِ نفسِه. لأنها كانت أعظمُ بركةً من يدي وكان إذا اشتكى يقرأُ على نفسِه بالمعوِّذاتِ (٨٩)

المثال الثاني

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فَلُدِغَ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم لو أتيتم هذا الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدِغَ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحدٍ منكم من شيء، فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا

---

٨٨ – زاد المعاد المجلد الرابع صفحة ٣٢٥.

٨٩ –أخرجه البخاري ٥٠١٦ ومسلم ٢١٩٢ ح ٥١ وأبو داود ٣٩٠٢ وأحمد ٦/ ١٠٤ و١٨١ و٢٥٦ و٢٦٣ وابن حبان ٢٩٦٣

براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة، قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية، ثم قال: قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهماً، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: عالجيها بكتاب الله. ([٩٠])

المثال الثالث

قال ابن القيم رحمه الله: "ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، وكان كثير منهم يبرأ سريعا" ([٩١])

المثال الرابع

يأس الأطباء من العلاج وشفي بالقرآن

رجل كان مصابا بمرض السرطان وقد حاول العلاج هنا في المملكة، ولكن قيل له: لا علاج لك إلا في الدول الغربية ! !

اضطر للذهاب إلى أمريكا وكان معه أخوه، وبعد فحصه قال الطبيب لمرافقيه: إنه لا يمكن علاج هذا المرض فقد استفحل وسيبقى على هذه الحال حتى يموت ! ! وفي الليل تذكر أخوه المرافق قول الله تعالى " وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ " الشعراء (٨٠)، فأخذ يقرأ عليه طوال الليل ما استطاع من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وبعدها نام، فلما جاء الغد وجد أن أخاه يتحسن! فأعاد عليه القراءة مرة أخرى كما فعل في الأولى وبدأ التحسن واضحا عليه فكرر القراءة عليه عدة مرات وبعد أن تم إعادة الفحص مرة أخرى قال الطبيب لأخيه مستغربا هل هذا هو المريض الذي فحصناه في المرة السابقة؟

فأجابه: نعم. فقد شفي هذا الرجل بتوفيق من الله ثم بقراءة القران الكريم عليه ([٩٢])

أحبتي في الله.

---

[٩٠] –أخرجه البخاري في الإجارة باب ١٦، والطب باب ٣٣ و٣٩. ومسلم في السلام حديث٦٦. وأبو داود في البيوع باب ٣٧، والطب باب١٩. وأحمد في المسند (٣/ ١٠، ٤٤)

[٩١] –زاد المعاد ١٧٨/٤

[٩٢] –موقع صيد الفوائد

الصفة الرابعة

رمضان شهر الترويح

أخي المسلم ومن صفات شهر رمضان بأنه شهر التراويح والقيام و تلك الصلاة من خصائص ذلك الشهر و من بركاته التي تزيد المؤمن إيمانا و تحيي قلوب كثير من المسلمين و تعمر المساجد بكل راكع و ساجد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ [قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».([٩٣])

فما معنى صلاة التراويح؟ وما هو فضلها؟ وما هي صفاتها؟

الجواب بحول الملك الوهاب:

تعريف صلاة التراويح:

أحباب الحبيب محمد — صلى الله عليه وسلم-: التراويح: جمع ترويحة، أي: ترويحة للنفس، أي: استراحة، من الراحة وهي زوال المشقة والتعب، وسُميت هذه الصلاة بالتراويح لأنهم كانوا يطيلون القيام فيها ويجلسون بعد كل أربع ركعات للاستراحة. وصلاة التراويح: هي قيام شهر رمضان، مثنى مثنى، على اختلاف بين الفقهاء في عدد ركعاتها...

حكمها:

فإن سألت ما هو حكمها؟

اتفق العلماء على أن "صلاة التراويح سنة مؤكدة للرجال والنساء، وهي من أعلام الدين الظاهرة؛ فقد صلاها النبي -صلى الله عليه وسلم-ليال عدة، وصلى خلفه جمع غفير من الصحابة، وحث عليها، ورغب فيها، ثم صلاها التابعون من تبعهم فهي من شعائر شهر رمضان فتعظيمها وإقامتها إحياء لسنة الحبيب-صلى الله عليه وسلم-

---

[٩٣] – أخرجه البخاري (٢٢/١، رقم ٣٧)، ومسلم (٥٢٣/١، رقم ٧٥٩)

فضائل صلاة التراويح

اعلم بارك الله تعالى فيك–أن صلاة التراويح فضلها عظيم وأجرها كبير فهي سبب من أسباب القرب من رب الأرباب وصحبة نبيه الأواب — صلى الله عليه وسلم–وإليك بيان ذلك بحول من الله ومدد–

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ [قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». ([٩٤])

قال ابدر الدين العيني — رحمه الله–فيه الدلالة على غفران ما تقدم من الذنوب بقيام رمضان ودل الحديث الماضي على غفرانها بقيام ليلة القدر ولا تعارض بينهما فإن كل واحد منهما صالح للتكفير وقد يقتصر الشخص على قيام ليلة القدر بتوفيق الله له فيحصل ذلك

ظاهر الحديث غفران الصغائر والكبائر وفضل الله واسع ولكن المشهور من مذاهب العلماء في هذا الحديث وشبهه كحديث غفران الخطايا بالوضوء وبصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء ونحوه أن المراد غفران لصغائر فقط كما في حديث الوضوء ما لم يؤت كبيرة ما اجتنبت الكبائر وقال النووي في التخصيص نظر لكن أجمعوا على أن الكبائر لا تسقط إلا بالتوبة أو بالحد فإن قيل قد ثبت في الصحيح هذا الحديث في قيام رمضان والآخر في صيامه والآخر في قيام ليلة القدر والآخر في صوم عرفة أنه كفارة سنتين وفي عاشوراء أنه كفارة سنة والآخر رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما والآخر إذا توضأ خرجت خطايا فيه إلى آخره والآخر مثل الصلوات الخمس كمثل نهر إلى آخره والآخر من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ونحو ذلك فكيف الجمع بينها أجيب إن المراد أن كل واحد من هذه الخصال صالحة لتكفير الصغائر فإن صادفها كفرتها وإن لم يصادفها فإن كان فاعلها سليما من الصغائر لكونه صغيرا غير مكلف أو موفقا لم يعمل صغيرة أو عملها وتاب أو فعلها وعقبها بحسنة أذهبتها كما قال تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات (هود ١١٤) فهذا يكتب له بها حسنات ويرفع له بها درجات وقال بعض العلماء ويرجى أن يخفف بعض الكبيرة أو الكبائر([٩٥])

---

[٩٤] – أخرجه البخاري (٢٢/١ ، رقم ٣٧) ، ومسلم (٥٢٣/١ ، رقم ٧٥٩)

[٩٥] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ١٢٣)

ولنذكر ههنا طرفًا في فضل قيام الليل، قال الله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}

ومدح قومًا فقال: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}.

وروى الترمذي عن عبدالله بن سلام، أن النبي (قال: «يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام».([٩٦])

، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» ([٩٧])

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَقُرْبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَكْفرةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ ". ([٩٨])

يا من ضيع عمره في غير طاعة، يا من فرط في شهره بل دهره وأضاعه، يا من بضاعتُه التسويفُ والتفريطُ، وبئس البضاعة، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة كلُّ قيام لا ينهى صاحبه عن الفحشاء والمنكر، لا يزيد صاحبه إلا بعدًا، وكل صيام لا ينهي عن قول الزور والعمل به، لا يورثُ صاحبه إلا مقتًا وردًّا. يا قوم: أين آثار الصيام؟ أين أنوارُ القيام؟

يا راقداً والجليل يحفظه من كل سوء يكون في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك يأتيك منه فوائد النعم

وقتها:

فإن سألت أخي المسلم عن وقتها فاعلم – بارك الله فيك – أن وقت صلاة التراويح يبدأ من بعد صلاة العشاء، وينتهي بطلوع الفجر الصادق؛ لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

---

[٩٦] – الدارمى (٤١٢/١، رقم ١٤٧٦)، وأبو يعلى (٢٨٠/١١، رقم ٦٣٩٢).

[٩٧] – أخرجه الترمذي (٥٥٢/٥، رقم ٣٥٤٩) وقال: غريب. والبيهقي (٥٠٢/٢، رقم ٤٤٢٥). وأخرجه أيضًا: الرويانى (١٤/٢، رقم ٧٤٥).

[٩٨] – أخرجه الترمذي (٣٥٤٩)

[يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ ([99])

قال النووي رحمه الله: يدخل وقت التراويح بالفراغ من صلاة العشاء ويبقى إلى طلوع الفجر. أهـ. ([100])

واعلم أنها جائزة في أي ساعة من الليل إذ أن الليل كله وقت لها و لو أخرها المسلم ليصليها في الثلث الأخير من الليل كان ذلك أفضل إذ هو وقت النزول الإلهي و لكن لو صلاها مع المسلمين كان ذلك خيرا له و كتب له قيام الليل كله ذر الغفاري – رضي الله عنه – : قال : «صُمْنا مع رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم– رمضانَ ، فلم يَقُمْ بنا حتى بقي سبع من الشهر ، فقام بنا حتى ذَهَبَ ثلثُ الليل ، ثم لم يقم بنا في السادسة ، وقام بنا في الخامسة حتى ذهب شَطْرُ الليل، فقلنا له: يا رسولَ الله ، نَفَّلْتَنا بقيةَ ليلتنا هذه ، قال :إنَّه من قام مع الإمام حتى ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلة ، ثم لم يقم بنا حتى بقي ثلاث ليال من الشهر ، فصلَّى بنا في الثالثةِ ، ودعا أَهلَه ونساءه ، فقام بنا حتى تخوَّفْنا الفلاحَ ، قلتُ : وما الفلاحُ ؟ قال : السُّحورُ»([101])

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ. ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِن الَّتِي يَقُومُونَ – يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ – وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ. ([102])

قال الحافظ — رحمه الله– : هذا تصريح منه بأن الصلاة في آخر الليل أفضل من أوله. أهـ([103])

امنع جفونك أن تذوق مناماً وذر الدموع على الخدود سجاما

وأعلم بأنك ميِّتٌ ومحاسب يا من على سخط الجليل أقاما

لله قومٌ أخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خُداما

---

[99] – أخرجه مالك «الموطأ»٩٤. وأحمد (٣٦/٦) ومسلم (١٦٦/٢)

[100] – المجموع شرح المهذب (٣٨/٤)

[101] – أخرجه أحمد (١٥٩/٥) والدارمي (١٧٨٤) وأبو داود (١٣٧٥. وابن ماجة (١٣٢٧)

[102] – أخرجه مالك (١١٤/١ ، رقم ٢٥٠) ، وعبد الرزاق (٢٥٩/٤ ، رقم ٧٧٢٣) ، والبخاري (٧٠٧/٢ ، رقم ١٩٠٦)

[103] – الفتح (٢٩٨/٤)

قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهم باتوا هنالك سُجداً وقياما

عدد ركعاتها:

صلاة التراويح صلاة ليل، ليس لها حد محدود، لقول النبي صلى الله عليه وسلم للسائل الذي سأله عن صلاة الليل؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى» (متفق عليه).

والأفضل أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم –يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ، ثُمّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ، ثُمّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنّ عَيْنَيّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي». (متفق عليه).

قال ابن عبد البر –رحمه الله تعالى –: لا خلاف بين المسلمين أن صلاة الليل ليس فيها حد محدود، وأنها نافلة، وفعل خير، وعمل بر، فمن شاء استقل، ومن شاء استكثر. أهـ. ([١٠٤])

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى –: كما أن نفس قيام رمضان لم يوقت النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيه عدداً معيناً، بل كان هو صلى الله عليه وسلم لا يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاث عشرة ركعة، لكن كان يطيل الركعات، فلما جمعهم عمرُ على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة. ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث، وهذا كله سائغ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن.

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام، فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر

[١٠٤] – التمهيد (١٤٣/٦)

وبين الأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك، ولا يكره شيء من ذلك، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره.

ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزاد فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ، فإذا كانت هذه السعة في نفس عدد القيام، فكيف الظن بزيادة القيام لأجل دعاء القنوت أو تركه، كل ذلك سائغ حسن. ([١٠٥])

كيفية صلاة التراويح:

الأفضل في صلاة التراويح هو التسليم بين كل ركعتين، لما في الصحيحين وغيرهما: عَن ابْنِ عُمَرَ: أَنّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَلَاةُ اللَّيْلِ: مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ، صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»، وفي رواية لمسلم: فَقِيلَ لاِبْنِ عُمَرَ: مَا مَثْنَى مَثْنَى؟ قَالَ: أَنْ يُسَلِّمَ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ.)([١٠٦])

الاستراحة في صلاة التراويح كل أربع ركعات:

اتفق الفقهاء على مشروعية الاستراحة بعد كل أربع ركعات؛ لأنه المتوارث عن السلف، فقد كانوا يطيلون القيام في التراويح، ويجلس الإمام والمأمومين بعد كل أربع ركعات للاستراحة... ([١٠٧])

ما يقال في الترويحة؟

أما ما يشغل به المسلم في هذه الاستراحة فالأمر فيه سعة إما بالذكر أو الدعاء أو الموعظة وليحذر المسلم البدعة التي نراها في بعض المساجد من التزام ذكر جماعي معين أو قراءة الإخلاص والمعوذتين فهذا من البدع المحدثة ومن فعل ذلك فقد جانب الصواب

---

[١٠٥] – مجموع الفتاوى (٢٢/٢٧٢–٢٧٣)

[١٠٦] – أخرجه البخاري (١/٣٨٢، رقم ١٠٨٦)، ومسلم (١/٥١٦، رقم ٧٤٩)

[١٠٧] – (الموسوعة الفقهية ٢٧/١٤٤).

الصفة الخامسة

رمضان شهر الصبر

أخي المسلم .... أختي المسلمة: من صفات شهر رمضان أنه شهر الصبر لأن المسلم يصبر ويصابر على أمور كثيرة سنذكرها لك بالتفصيل

والله سماه شهر الصبر ففي قوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} (سورة البقرة :٤٥)

قال مجاهد: الصبر الصوم، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهده في الدنيا، والصلاة ترغبه في الآخرة، ([١٠٨])

فاشتمل رمضان على أنواع الصبر كلها ، قال ابن القيم رحمه الله : ((والنفس فيها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام ؛ فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره ، ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به وثباتُه عليه أقوى من صبره عما يضره فيصبر على مشقة الطاعة ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نُهي عنه ، ومنهم من تكون قوة صبره عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطاعات ، ومنهم من لا صبر له على هذا ولا ذاك ، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين ، فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ولا يصبر عن نظرة محرمة ، وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بل هو أضعف شيء عن هذا وأعجزه ، وأكثرهم لا صبر له على واحد من الأمرين ، وأقلهم أصبرهم في الموضعين)) اهـ. ([١٠٩])

---

[١٠٨] – تفسير البغوي (١/ ٨٩)

[١٠٩] – عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٣٧).

وقال أيضاً: ((فالإنسان منا إذا غلب صبرُه باعثَ الهوى والشهوة الْتحق بالملائكة، وإن غلب باعثُ الهوى والشهوة صبرَه الْتحق بالشياطين، وإن غلب باعثُ طبعه من الأكل والشرب والجماع صبرَه التحق بالبهائم)). ([110])

قال أهل العلم : الصبر في الآية : الصوم ، وهو خير معين للعبد في هذه الحياة ليتجاوز كل الحواجز النفسية والحسية التي تعوقه عن الله والدار الآخرة التي تعوقه عن معالي الأمور ليصبح عبداً لله لا عبداً لشهوته وهواه ، إن الإخلاد إلى الأرض والانغماس في الملذات هو من أعظم المعوقات عن الوصول إلى أعلى الدرجات وأعلى المقامات في العبادة والبذل والإنفاق والجهاد في سبيل الله وأداء ما أوجب الله وتطهير القلوب وتهذيب السلوك كل هذا طريقه والسر إلى الوصول إليه لن يكون إلا من بوابة الصبر ولا شيء غير الصبر ، ومن أعطي الصبر فقد أعطي الخير كله، فهو سر عجيب وأساس رفعة الإنسان وتميزه عن سائر الحيوان ، فلا عجب أن يكون أجره كما قال جل وعلا {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } .

وقد أمر الله بالصبر وأثنى على الصابرين، وأخبر أن لهم المنازل العالية والكرامات الغالية في آيات كثيرة من القرآن وأخبر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران:٢٠٠] ، وقال تعالى: { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ } [البقرة:٤٥] ، وقال سبحانه: { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [البقرة:١٥٥- ١٥٧]، وقال تعالى: { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [البقرة:١٧٧] ، وقال عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة:١٥٣] ، وقال تعالى في جزاء الصابرين وأجرهم : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر:١٠] ،

فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتم، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، فإن من باشر قلبه الإيمان بقيام الله عليه، ورؤيته له، وتحريمه لما حرم عليه، وبغضه له، ومقته لفاعله، وباشر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار، امتنع من أن لا يعمل بموجب هذا العلم ([111]).

---

[110] – نفس المرجع (ص: ٤٤).

[111] –ابن القيم، طريق الهجرتين، ص ٢٧٥.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –أَنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم–قال: «لا يزني الزَاني حين يزني وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن –قال: يعني أبا بكر الراوي عن أبي هريرة وكان أبو هريرة يلحق معهن –ولا ينتهِب نُهْبة ذات شَرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». »([١١٢])

فالصوم يرسخ تلك القاعدة الإيمانية التي هي بمثابة الجنة التي تحمى المجاهد من الأعداء وهذا ما أوضحه لنا النبي — صلى الله عليه وسلم–عن معاذ بن جبل –رضي الله عنه –، أن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال له: "ألا أدُّلك على أبواب الخير؟" قلت: بلى يا رسول الله! قال: "الصومُ جنةٌ، والصدقةُ تطفئُ الخطيئة كما يطفئُ الماءُ النارَ"([١١٣])

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –عن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار". ([١١٤])

قال النووي: هو بضم الجيم ومعناه سترة ومانع من الرفث والآثام ومانع أيضاً من النار، ومنه المجن وهو الترس، ومنه الجن لاستتارهم. ([١١٥])

وقال ابن الأثير: "معنى كونه جنة: أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات". ([١١٦])

وقال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: وإنما كان الصوم لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات كما في الحديث الصحيح "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات". ([١١٧])

ميادين الصبر في رمضان

صبر على أداء الطاعات

---

[١١٢] – رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الأشربة، الباب (١)، الحديث رقم ٥٥٧٨، ج ١٠ ص ٣٠. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ج ٢ ص ٤١، ٤٢.

[١١٣] – رواه الترمذي في حديث وصححه، وقال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب برقم (٩٨٣)، وصحيح الجامع برقم (٥١٣٦)

[١١٤] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، وقال شيخنا الألباني رحمه الله: حسن لغيره، صحيح الترغيب برقم (٩٨٠) ، وصحيح الجامع برقم (٣٨٨٠)

[١١٥] – شرح النووي(٨/٢٥)

[١١٦] – النهاية في غريب الحديث.

[١١٧] – صحيح الترغيب (١/٥٧٥).

أخي المسلم: الصوم هو من أشق العبادات و الطاعات على نفس الصائم لأنه ابتعاد عن كل مألوف و مباح فالصائم يدع طعامه و شرابه حسبة لله– تعالى– في حر النهار و يقف بين يدي مولاه في صلاة القيام لذا خص الله تعالى الصوم دون غيره من سائر الطاعات لنفسه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قال: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يضاعَفُ : الحسنةُ عشر أمثالها إلى سبعمائةِ ضِعْف ، قال الله عزَّ وجلَّ : إلا الصوم ، فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يَدَع شهوتَهُ وطعامَه من أجْلي ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فِطْره ، وفرحة عند لقاءِ ربِّه ، ولَخُلُوفُ فيه أطيب عند الله من ريح المسكِ».([118])

قال ابن رجب –رحمه الله –في الحديث: " فعلى هذه الرواية يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلّا. الصيام فإنّه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] " ا هـ.([119])

يقول أبو الحسن الماوردي: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه تخلص به الطاعة، وبخلوص الطاعة يصح الدين، وتؤدى الفروض، ويستحق الثواب ...، وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر، ولا نصيب من صلاح.

ومن لم ير لنفسه صبرا يكسبها ثوابا ويدفع عنها عقابا كان مع سوء الاختيار بعيدا من الرشاد، حقيقا بالضلال ... وهذا النوع من الصبر إنما يكون لفرط الجزع، وشدة الخوف، فإن من خاف الله عز وجل صبر على طاعته، ومن جزع من عقابه وقف عند أوامره ([120])

ويحتاج العبد إلى الصبر على الطاعة في ثلاث حالات:

الأولى: قبل الشروع في الطاعة، وذلك بتصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعقد العزم على الوفاء بهذه الطاعة.

---

[118] – أخرجه البخاري (٦٧٠/٢، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٨٠٧/٢، رقم ١١٥١)، والنسائي (١٦٤/٤، رقم ٢٢١٧).

[119] – لطائف المعارف (ص: ٢٠٢)

[120] – أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٧

الثانية: الصبر حال القيام بالطاعة، وذلك بملازمة الصبر عن التقصير فيها، وملازمة استصحاب النية، وحضور القلب بين يدي المعبود.

الثالثة: الصبر بعد الفراغ من الطاعة، وذلك بالصبر عن الإتيان بما يبطلها، والصبر عن النظر إليها بعين العجب والتعظيم، والصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية.

صبر عن البعد على المعاصي والمخالفات

المراد بالصبر عن المعصية: الصبر عما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، وقمع الشهوات، ومجاهدة النفس عن قربانها، وقهرها عن هواها، وكبح جماحها عن الوقوع في حمأة الرذائل، يقول تعالى في بيان عاقبة الصبر عن المعصية: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: ٤٠، ٤١].

يقول ابن تيمية: يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله، وينهى النفس عن الهوى ...، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله وعملا صالحا.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله» ([١٢١])، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلى جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذاك الجهاد، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد، كما قال صلى الله عليه وسلم: «والمهاجر من هجر السيئات» ([١٢٢]). ([١٢٣]).

والصوم يعلم العبد الصبر عن المعاصي ويجبره على ترك المخالفات وهذا ما نشاهده في مدرسة الصوم، فكم من مرتشي لما دخل عليه رمضان امسك عن الرشوة وعفت نفسه عنها رغم أنها تعرض عليه

وكم من مغتاب هجر الغيبة وأمسك لسانه عنها وشغله بالذكر الرحمن وقراءة القران

---

[١٢١] – رواه الإمام أحمد في المسند بلفظ: المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، الحديث رقم (٢٣٩٥٨) ج ٣٩ ص ٣٨١. وقد صحح إسناده محققو المسند، كما صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥٤٩)، ج ٢ ص ٨٩، ط عام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .

[١٢٢] – الحديث عن عبد الله بن عمرو عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهاه الله عنه

[١٢٣] – مجموع الفتاوى، ج ١٠ ص ٦٣٥، ٦٣٦.

وكم من متبرجة لبست حجابها وسترت مفاتنها لما دخل عليها رمضان

وكم من مدخن ترك التدخين وتاب إلى الله تعالى لم صبر عليه أيام رمضان

إنه الصبر عن ترك المعاصي والمخالفات

فأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة ...، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها (إلا بالصبر)، ثم إن كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس ([١٢٤]).

الصفة السادسة

رمضان شهر التوبة

[١٢٤] –إحياء علوم الدين ، ج ٤ ص ٦٧ ، ٦٨ ، بتصرف يسير

أخي المسلم. أختي المسلمة: يعد شهر رمضان مطحة انتقال من حال إلى حال في حياة كثير من الصائمين فهو بداية لصفحة جديدة مع الله –سبحانه وتعالى–و هو شهر النفحات و الرحمات شهر نرى فيه المساجد قد امتلأت عن أخرها بالمصلين و بالعائدين إلى رب العالمين

فمن لم يكن يصلي قد اقبل على ربه وفتح صفحة جديدة مع الله تعالى

من كان يسمع الغناء استغفر وتاب ورجع إلى ربه وأناب وأقبل على القران الكريم

من كان قاطعا لأرحامه نراه في مشهد الود والصلة مرة أخرى انه شهر التائبين

كثر فيه البكاء وعلى فيه النحيب حالهم كما قال الشاعر

أتيتك راجيا يا ذا الجلال ففرج ما ترى من سوء حالي

عصيتك سيدي ويلي بجهلي وعيب الذنب لم يخطر ببالي

لعمرى ليت أمي لم تلدني ولم أغضبك في ظلم الليالي

فها أنا عبدك العاصي فقير إلى رحماك فاقبل لي سؤالي

فإن عاقبت يا ربي تعاقب محقا بالعذاب وبالنكال

وإن تعف فعفوك قد أراني لأفعالي وأوزاري الثقال

فها هو شهر التوبة ، والعودة والأوبة ، فيا من عصيت الله في كل الأحوال ، ها هو شهر القبول والنوال ، فلا يعقل أن يمر شهر رمضان دون إحداث توبة جدية ، وعودة حميدة ، وترك للهوى والشهوات ، ورجوع صادق إلى رب البريات ، لابد من تغير الحال في شهر رمضان ، فلا يمرن شهركم إلا وقد أريتم الله من أنفسكم خيراً ، فلا يكن الحال قبل رمضان ، كما هو في رمضان ، بل شمروا عن سواعد الجد والاجتهاد ، والمجاهدة والجهاد ، ومقاومة عدوكم اللدود ، إن الشيطان يقعد لكم كل مقعد ، ويرصد لكم كل مرصد ، ليوقعكم في الذنوب والخطايا ، والآثام الرزايا : {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ

اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: ١٤ – ١٨] فمن لم يتب في شهر التوبة فمتى سيتوب ، ومن لم يندم في شهر رمضان فمتى سيتوب ؟

ها هو شهر رمضان، قد غلقت فيه أبواب النيران، وفتحت فيه أبواب الجنان، وصفدت فيه مردة الجان، وكبت فيه الشيطان، ها هو باب التوبة قد فتح، فليدخل فيه التائبون، {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢]، رمضان! شهر تغسل فيه الحوبات، وتنبذ فيه الخطيئات، فلا يخرجن هذا الشهر إلا وقد تبدلت الطباع، وتغيرت الأوضاع، وظهر أثر رمضان على الظاهر والباطن، هكذا نستلهم منه العبر، ونجني الدرر، من شهر البكاء والعبرات، والندم على ما فات، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، يا عالم الخفيات، يا مجيب الدعوات.

أيها الصائمون: التّوبةُ خضوعٌ وانكسَار، وتذلُّل واستغفارٌ، واستِقالَة

واعتِذار، وابتِعاد عن دواعِي المعصيةِ، ونوازِع الشرِّ، ومجالس الفِتن، وسُبُل الفساد، وأصحابِ السّوء ، وقرَناء الهوى ، التوبةُ صفحةٌ بيضاء ، وطهر ونقاء ، وخشيَة وصفاء ، وإشفاق وبكاء ، وتضرُّع ونداء ، وسؤالٌ ودعاء ، وخوفٌ وحياء ، التوبة خجَل ووَجل ، وعودة ورجوع ، وانكسار وخضوع ، وندم ونزوع ، وإنابةٌ وتدارك ، وخوف من المهالك ، التوبة يا عباد الله نجاةٌ من كلّ غمّ ، ووقاية من كلّ همّ ، وظفَرٌ بكلِّ مطلوب ، وسلامةٌ من كلّ مرهوب ، بابُها مفتوح ، وخيرُها ممنوح ، ما لم تغرغِر الروح ،

عن أبي ذَرّ أنَّ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم–قال: –فيما روى عن الله تبارك وتعالى –أنه قال: « يا عبادي ، إنكم تُخطئون بالليل والنهار ، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعا ، فاستغفروني أغفِرْ لكم ».([١٢٥])

أولا: تعريف التوبة

[١٢٥] – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٩٠) ومسلم (١٦/٨)

قال الأصفهاني: التوبة هي ترك الذنوب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر لم أفعل، أو أن يقول: فعلت لأجل كذا؟ أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لها، وهذا الأخير هو التوبة.

والتائب هو العبد إذا بذل التوبة فيقال تاب إلى الله فهو تائب والله تائب إذا تاب على العبد أي قبل منه توبته.

أنواع التوبة

اعلم زادك الله علما: أن التوبة على قسمين توبة نصوح وتوبة فاسدة وإليك بيان ذلك:

أما التوبة النصوح: فقد ذكر ابن القيم في تفسير قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ سورة التحريم الآية (٨).

أقوال عن السلف في بيان معنى التوبة النصوح: فقال رحمه الله: قد اختلفت عبارات السلف فيها ومرجعها إلى شيء واحد: –

فقال عمر بن الخطاب وأبي ابن كعب: التوبة النصوح: (أن يتوب من الذنوب ثم لا يعود إليها كما لا يعود اللبن إلى الضرع).

وقال الحسن البصري: (هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه).

وقال سعيد بن المسيب: توبة نصوحا تنصحون بها أنفسكم، قال ابن القيم: جعلها بمعنى ناصحة للتائب – أي كأن التوبة اسم فاعل –وأما أصحاب القول الأول فجعلوا بمعنى بالمفعول أي قد نصح فيها التائب ولم يشبها بغش، فهي إما بمعنى نصوح فيها أو بمعنى ناصحة.

وقال محمد بن كعب القرظي :(يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان) ([١٢٦]).

قال ابن القيم: النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء: –

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا إلا تناولته.

[١٢٦] – تفسير القرطبي (١٨/ ١٩٨)

الثاني: إجماع العزم والصـــدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها بكل إرادته وعزمه مبادرا بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها بمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته، أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس أو غير ذلك من الأغراض) أهـ. ([١٢٧])

وقال التهاونى: التوبة النصـــوح من أعمال القلوب، وهي تعنى تنزيه القلب عن الذنوب وعلامتها أن يكره العبد المعصية، ويستقبحها فلا تخطر له على بال، ولا ترد في خاطره أصلا. ([١٢٨])

النوع الثاني: التوبة الفاسدة

فهي أن يتوب العبد بلســـانه فقط، ولا يعزم على الترك بقلبه ولا يعزم على عدم العود فيما لو ترك بل يعزم على العودة إليه، بل قد تبقى لذة المعصـــية في خاطره إلى أن يعود إليها وهذا ليس بتائب في الحقيقة بل هو كالمستهزئ بربه عياذا بالله.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " التائب من الذنب كمن لا ذنب له "[١٢٩].

ثانياً: حكم التوبة:

قال القرطبي: واتفقت الأمة على أن التوبة فرض متعين على المؤمنين لقوله تعالى﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة النور الآية (٣١) .([١٣٠])

والتوبة واجبة من كل ذنب كما ذكره النووي رحمه الله، وإذا تاب العبد من ذنب دون آخر فإن توبته من ذلك الذنب مقبولة، ويجب عليه التوبة من بقية ذنوبه، كما قرره العلماء، ويتلخص من هذا أنه لا يشترط في تحقيق وجوب التوبة أن تكون عامة من كل الذنوب والله أعلم

---

[١٢٧] – مدارج السالكين (١/ ٣١٠)

[١٢٨] – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/ ١٢٧٠)

[١٢٩] – صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٢)

[١٣٠] – تفسير القرطبي (٥/ ٩٠)

شروط التوبة الصحيحة

واعلم علمني الله وإياك –: أن العلماء ذكروا شـــروطا لصـــحة التوبة ولتكون مقبولة عند الله تعالى في مواضع متفرقة وسأحاول جمعها هنا بإذن الله، فأقول ومن الله أرجو العون والقبول: –

الشـــرط الأول: أن يقلع عن الذنب في الحال: وهذا يعنى أن من أراد التوبة وهو متلبس بالذنب فأول خطوة تجب عليه أن يترك الذنب ويقلع عنه في الحال، لأنه لا يصـــح منه أن يقول: إني قد تبت إلى الله وهو لا يزال يمارس الذنب، فعلى ســـبيل المثال: من كان بيده كأس خمر وأراد أن يتوب فعليه أن يريق ما في الكأس مباشـــرة كما حصـــل من الصـــحابة الذين كانوا يشـــربون الخمر في بيت أبى طلحة الأنصاري إذ قاموا بإراقة ما في الكؤوس دون تردد، وعلى هذا يقاس كل ذنب.

الشـرط الثاني: أن يندم على ما بدر منه من الذنوب: لعل هذا الشـرط من أهم شـروط التوبة وهو عبارة عن اسـتشـعار العبد بالندم على ارتكاب الذنوب ومـــــن هنا جاء في الحديث عن عبد الله بن معقل بن مقرن، قال: دخلت مع أبي على عبد الله بن مسـعود، فقال: أنت سمعت النبي صـلى الله عليه وسـلم يقول: " الندم توبة؟ " قال: نعم، وقال: مرة سمعته يقول: " الندم توبة " ([131])

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن شجرة التوبة تسقى بماء الندم.

ومن أحس بالندم فإنه سـتصدق توبته ، وندمه يدل على معرفته بعظمة ربه جل جلاله ، وهنا أضرب مثلا به يتضـح مكانة الندم من التوبة : إنك إذا أخطأت في حق أبيك ثم أحســـست بندمك من هذا الخطأ تسـتحي من مواجهته فترة طويلة حتى يزول إحسـاسك بالحياء حتى ولو علمت أنه عفا عنك ، وأمـا إذا أخطـأت في حق زميلـك في العمل أو أحد جيرانك ثم ندمت فإنك تكره مواجهته إما حياءا منه وإما أنفة من الاعتراف بالذنب ، والفرق بين واضـح بين هذا وذاك ... فالندم في حق التائب هو الذي يصحبه الحياء من الله أشد من حيائه من والده ، والله أعلم .

---

[131] – أخرجه أحمد (٤٢٢/١ ، رقم ٤٠١٢) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٧٣/٣) ، وابن ماجه (١٤٢٠/٢ ، رقم ٤٢٥٢) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٨٠٢ في صحيح الجامع

الشـــرط الثالث: أن يعزم على أن لا يعود إلى الذنب أبدا: وهذا يعنى ألا ينطوي القلب – لحظة التوبة – على الإصـرار على الذنب، ولا ينافى ذلك وقوعه في الذنب بعد ذلك، لأن المطلوب هو النية الصادقة والعزم الأكيد لحظة التوبة على عدم العود إلى الذنب أبدا.

قال النووي بعد ذكره هذه الشروط الثلاث: (فإن فقد أحد هذه الثلاثة لم تصح توبته).([١٣٢])

الشرط الرابع: إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي أن يبرأ من حق صاحبه: –

وإنما يكون الإبراء من هذا الحق بحسبه وذلك يحتاج إلى تفصيل على النحو الآتي ([١٣٣]):

١) **الحقوق في الأموال:** فإنه عليه رده إلى صـــاحبه إن وجده – أعنى صـــاحب المال – فإن لم يجده أعطاه للورثة فإن لم يعرف له ورثة تصـدق بالنيابة عنه أي يقول: (اللهم هذه صـدقة عن فلان). وقد يكون التحلل عن طريق طلب العفو من صاحب المال بعد إخباره بماله عنده من الحق.

٢) **الحقوق في الأبدان:** والمراد من ذلك أن يكون قد جرح أنســانا أو ضــربه أو ما أشــبه ذلك من أنواع الأذى البدني، ويكون التحلل من ذلك : إما أن يمكن صـــاحب الحق من أن يقتص منه بقدر ما أســـاء إليه ، وإما أن يدفع له مالا في مقابل ذلك وهو ما يسمى

بالأرْش عند الفقهاء، فإن لم يتمكن من لقاء صاحب الحق تصدق عنه ودعا له بخير .

٣) **الحقوق في الأعراض:** وهـذه تعنى أن يقع الإنســـان في الغيبة أو النميمة أو القذف لبعض الناس ثم يتوب إلى الله تعالى فيكون رد هذه الحقوق لأصحابها بطريقين: –

الطريق الأول: أن يعلم أن إخبار المغتاب – مثلا – لا يغضبه ولا يؤدى إلى غمه أو إلقاء

الشحناء بين الصدور، ففي هذه الحالة يجب عليه أن يخبرهم ويطلب العفو عنه.

الطريق الثاني: أن يخشـى من إيغار الصدور أو إثارة الشحناء ففي هذه الحالة لا يخبرهم بل يدعو لهم ويتوب فيما بينه وبين الله وأن يثنى على من ذمهم في المجالس التي ذمهم فيها، ومصلحة عدم الإخبار أكبر من مصلحة الإخبار بما كان منه.

---

[١٣٢] – دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٩١)

[١٣٣] - الطريق إلى التوبة - للشيخ آل حمد

٤) المظالم العامة: وذلك كأن يكون صحفيا بث سمومه وأكاذيبه بين الناس أو كان مغنيا أو مغنية أو ممثلا أو ممثلة ملأوا الدنيا بالأفلام الخليعة والمسلسلات والأفلام التي تنافى القيم والأخلاق بل وأحيانا تنافى العقيدة، ومن المظالم العامة ما ينشره المبتدع من بدعته بين الناس أو كاتبا أو أديبا زين الرذيلة للناس بقلمه ونحو ذلك من المظالم العامة .

فهؤلاء يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله وأن يندموا على ما فعلوه وأن يعلنوا توبتهم وبراءتهم مما كان منهم أيام فسقهم وفجورهم لئلا يتأسى الناس بهم ، فيما سبق من حياتهم ، كما عليهم أن يكثروا من الطاعات ونوافل الخيرات ليتداركوا ما فاتهم أيام غفلتهم .

كل هذه المظالم تدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((من كانت عنده مظلمة لأخيه ، من عرضه أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)) رواه البخاري . ([١٣٤]) .

الشرط الخامس: أن تكون التوبة قبل الغرغرة

والمراد بالغرغرة: وصول روحه إلى الحلقوم، ومن وصل إلى هذه الحال فمعناه أنه قد عاين

الموت، ودليل هذا الشرط قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾ سورة النساء الآية (١٨) .

قال القرطبي: قوله تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ ﴾ نفى سبحانه أن يدخل في حكم التائبين من حضره الموت وصار في حين اليأس ،كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان، لأن التوبة في ذلك الوقت لا تنفع لأنها حال زوال التكليف ، وبهذا

قال ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين.

عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال : ((إن الله – عز وجل – يقبل توبة العبد ما لم يغرغر))([١٣٥]).

---

[١٣٤] – أخرجه أحمد (٢/٥٠٦ ، رقم ١٠٥٨٠) ، والبخاري (٥/٢٣٩٤ ، رقم ٦١٦٩)

[١٣٥] – أخرجه: ابن ماجه (٤٢٥٣)، والترمذي (٣٥٣٧) قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ١٩٠٣ في صحيح الجامع

ومن هذا الحديث وهذه الآية قبله نقول: يجب على الإنسان أن يعجل التوبة لأنه لا يدرى متى ينزل به الموت، وقد يموت فجأة وما أكثر الموت فجأة في هذا الزمان فكم هم الذين ماتوا في حوادث السيارات وكم هم الذين ماتوا بالسكتة القلبية وأسباب خفية، المهم لا يعلم الإنسان متى يموت فعليه أن يعجل التوبة.

الشرط السادس: أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها

يدل على هذا الشرط ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة –رضي الله عنه – ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)) ([136])

وعن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)([137])

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾ سورة الأنعام الآية (١٥٨)

عن صفوان بن عسال قال :(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها) ([138]).

قال القرطبي: قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته، كما لا تقبل ممن حضره الموت، قال – صلى الله

---

[136] – أخرجه: مسلم ٧٣/٨ (٢٧٠٣).

[137] – أخرجه أحمد (٣٩٥/٤، رقم ١٩٥٤٧)، ومسلم (٢١١٣/٤، رقم ٢٧٥٩)

[138] – أخرجه الترمذي (٩٦) (٣٥٣٥) (٣٥٣٦)، والنسائي (١٢٦) (١٢٧) (١٥٨) (١٥٩)، وابن ماجه (٢٢٦) (٤٧٨) (٤٠٧٠)، وأحمد (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وابن خزيمة (١٧) (١٩٣) (١٩٧)، وابن حبان (٨٥) (١١٠٠) صحيح ابن خزيمة (١/ ٩٧) قال الأعظمي: إسناده حسن

عليه وسلم –: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر). أي تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة أو مقعده من النار، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله) أهـ . ([١٣٩])

الشرط السابع : الإخلاص لله في توبته

وهذا معلوم من أن الله تعالى لا يقبل من الأعمال الصالحة إلا ما كان خالصا لوجهه عز وجل ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ سورة البينة الآية (٥)

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، يقول : ((إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه))([١٤٠]) ولهذا من تاب لأجل الوصول إلى قلوب الناس وعلو المنزلة عندهم ولم يكن في خاطره قبح الذنب ولا سخط الرب فهذا لا تقبل توبته، وقد تقدم كلام ابن القيم رحمه الله في هذا عند الحديث حول التوبة النصوح ولأن الإخلاص معلوم لا حاجة إلى الإطالة في الحديث عنه .

تنبيه : وأخيرا أقول إذا اجتمعت هذه الشروط السبعة في التائب فإن توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى كما أخبر بذلك عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ سورة الشورى الآية (٢٥) . وهذا القبول للتوبة إنما هو من كرم الله على العباد وإلا فإن الله تعالى لا يجب عليه شيء وإنما هذا وعد منه جل وعلا وهو لا يخلف الميعاد.

قال النووي: لا يجب على الله تعالى قبول التوبة إذا وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه يقبلها تكرما منه وفضلا، وقد عرفنا قبولها بالشرع والإجماع، ثم توبة الكافر من الكفر مقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل مقطوع به أم مظنون؟ فيه خلاف لأهل السنة، اختار إمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح) ([١٤١]).

---

[١٣٩] – التذكرة للقرطبي (ص: ٧٩٢)

[١٤٠] – أخرجه: البخاري ٢/١ (١) ، ومسلم ٤٨/٦ (١٩٠٧)

[١٤١] – دليل الفالحين ١٠٠/١.

فضائل التوبة

اعلم –بارك الله فيك–: أن للتوبة ثمرات علية وفوائد سنية يمن الله تعالى بها على من اقبل عليه وتاب وأناب وإليك طرفا منها:

أولا: الله تعالى يفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه:

و هـذه اعظم الفوائـد و أجـل العوائـد أن ينال العبد هذه المنزلة التي يفرح بها رب العالمين فلولم يكن في التوبة سـواها لكان حريا بكل عبد ان يقضي أنفاسه في اللهج بالتوبة والاستغفار إن العطية هي فرح رب البرية ،عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(للهُ أشدُّ فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليـه من أحـدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشـــرابه فأيس منها ، فأتى شـجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك ، أخطأ من شدة الفرح)[١٤٢].

يقول ابن عثيمين رحمه الله –: في هذا الحديث من الفوائد: دليل على فرح الله –عز وجل–بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك–سبحانه وتعالي–محبة عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلي أعمالنا وتوبتنا؛ فالله غني عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم؛ فإنه يحب –سبحانه وتعالي–يفرح، ويغضب، ويكره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا؛ لأن الله يقول:) لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (الشورى: من الآية١١) بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله ولا يشبه فرح المخلوقين.

وفيه: دليل على أن الإنسـان إذا أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفرا سبق لسانه إليه؛ فإنه لا يؤاخذ فهذا الرجل قال كلمة كفر؛ ([١٤٣])

ثانيا الله تعالى يحب التوابين:

---

[١٤٢] – أخرجه: البخاري ٨٤/٨ (٦٣٠٩)، ومسلم ٩٣/٨ (٢٧٤٧) (٧) و(٨).

[١٤٣] – شرح رياض الصالحين (١/ ١٠٢)

أيها العاصي وكل ذلك العاصي فليس أحد منا معصوما من الخطأ تب إلى الله رب ومولاك يحب الله تعالى لما كانت التوبة من أهم مقامات الدين وأعلاها منزلة أخبرنا الله تعالى أنه يحب التوابين فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[١٤٤].

التَّوَّاب: هو المكثر من فعل ما يسمَّى توبةً، وقد يقال: هذا في حقِّ الله تعالى –؛ من حيث إنه يكثر من قبول التَّوبة.

فإن قيل: ظاهر الآية يدلُّ على أنَّه يحبُّ تكثير التَّوبة مطلقاً، والعقل يدلُّ على أن التَّوبة لا تليق إلاَّ بالمذنب، فمن لم يكن مذنباً، لا تجب منه التَّوبة.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن المكلَّف لا يأمن البتَّة من التَّقصير.

والثاني: قال أبو مسلمٍ: التَّوبة في اللُّغة عبارة عن الرُّجوع، ورجوع العبد إلى الله في كلِّ الأحوال محمودٌ.

واعترضه القاضي: بأن التَّوبة –وإن كانت في أصل اللغة الرُّجوع –إلا أنها في عرف الشَّرع عبارةٌ عن النَّدَم على الفعل الماضي، والتَّرك في الحاضر، والعزم على ألاَّ يفعل مثله في المستقبل؛ فوجب حمله على المعنى الشَّرعيِّ دون اللُّغويّ.

ولأبي مسلم أن يجيب: بأنّ مرادي من هذا الجواب، أنّه إن أمكن حمل اللَّفظ على التَّوبة الشَّرعيَّة، فقد صحَّ اللَّفظ، وإن تعذَّر ذلك، حملناه على التَّوبة بحسب اللُّغة الأصليَّة ([١٤٥])

ثالثا التوبة دليل على الإيمان:

فالتوبة هي عبارة عن يقظة من غفلة المعصية والبعد عن الله تعالى فاذا عاد العبد إلى ربه فقد عاد إلى رياض الإيمان ليغسل عنه أدران غفلته وأثار معصيته لذا كانت من دلائل وبراهين إيمان صاحبه بان الله تواب رحيم غفور غفار

[١٤٤] سورة البقرة الآية (٢٢٢) .

[١٤٥] – اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٧٦)

عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(مثلُ المؤمن ومثلُ الإيمان كمثلِ الفرس في آخيَّته ([146]) يجول ثم يرجع إلى آخيته وإن المؤمن يسهو ثم يرجع فأطعموا طعامكم الأتقياء أولو معروفكم المؤمنين)([147]) .

والمعنى: أن المؤمن مربوط بالإيمان من ملازمة الطاعة، لا انفصام له عنه، وإنه وإن اتفق أن يحوم حول المعاصي ويتباعد من قضية الإيمان من ملازمة الطاعة والاجتناب عن المعصية فإنه يعود بالآخرة إليها بالندم والتوبة وتلاقي ما فرط فيها. ([148])

رابعا التوبة سبيل الفلاح في الدنيا والأخرة

اعلم – زادك الله علما وفهما–: أن التوبة هي السبيل الموصل إلى الفلاح والنجاح في الدنيا و الأخرة و إلا كان العبد مصرا على المعصية يتنزل عليه في الدنيا الخزي و العناء و في الأخرة العذاب و النكال قال الله تعالى:﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾سورة النور الآية (٣١)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بالترجي إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبين .... جعلنا الله منهم آمين) أهـ.([149])

خامسا التوبة تكفر السيئات وتكون سببا في دخول الجنة: –

يا كثير الأوزار هو الله رب العالمين يرغبك في التوبة و الرجوع ليبدل السيئات إلى حسنات و يرفعك إلى أعالي الدرجات خفف الأوزار و قف بباب العزيز الغفار و اهتف وقل { يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف: ٨٨]

---

[146] – الآخية: هي العود الذي تشد به الدابة

[147] – أخرجه ابن المبارك (٢٤/١، رقم ٧٣) ، وأحمد (٥٥/٣ رقم ١١٥٤٣) ، وأبو يعلى (٤٩٢/٢ رقم ١٣٣٢) قال الهيثمي (٢٠١/١٠) : رجالهما رجال الصحيح غير أبى سليمان الليثي وعبد الله بن الوليد التميمي وكلاهما ثقة . وابن حبان (٣٨١/٢، رقم ٦١٦)

[148] – تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ١٢٢)

[149] – مدارج السالكين (١/ ١٧٨)

يقول ابن الجوزي – رحمه الله–لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف: ٨٨] لبرز لهم التوقيع عليها: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢] .

أشكو إلى الله كما قد شكى أولاد يعقوب إلى يوسف

قد مسني الضر وأنت الذي تعلم حالي وترى موقفي

بضاعتي المزجاة محتاجة إلى سماح من كريم وفي

فقد أتى المسكين مستمطرا جودك فارحم ذله واعطف

فأوف كيلي وتصدق على هذا المقل البائس الأضعف([١٥٠])

قال الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾سورة التحريم الآية (٨)

قال القرطبي : كأنه قيل : توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار " وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن التوبة سبب في تكفير السيئات منها ما رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفر له وإن كان فر من الزحف ([١٥١])

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه ، فقام قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك الله وبحمدك أشهد ألا لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك)[١٥٢]

---

[١٥٠] – لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٥)

[١٥١] - أخرجه أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٧) صحيح التعليق الرغيب ٢٦٩ / ٢ ، صحيح سنن أبي داود ١٣٥٨

[١٥٢] –أخرجه أحمد (٣٦٩/٢) والترمذي (٣٤٣٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٩٧) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠١)

الصفة السابعة

رمضان شهر الغفران

أخي المسلم .... أختي المسلمة: إن من صفات رمضان أنه شهر تغفر فيه الذنوب وتغسل فيها الخطايا فهو نهر واسع لمغفرة الخطايا ورفعت الدرجات

وأسباب المغفرة كثيرة في رمضان نذكر منها هدية ربانية ومنحة رحمانية لهذه الأمة

أخي الكريم، أختي الكريمة من منّا يَسْلَمُ من الخطأ، أو الوقوع في الزلل، أو مقارفة الذنب، فكلنا ذو خطأ وخير الخطّائين التوابون المستغفرون.

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فالباب مفتوح ولكن من يلج

والحبل ممدود ولكن من يتشبث

الخير مبذول ولكن من يتعرض

عبد الله مهما بلغت ذنوبك ومعاصيك فإن الله تعالى يغفرها ويمحوها فمن صفاته أنه غفور وغفار وغافر قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: ٣]

فلم يخلقنا الله تعالى ملائكة بررة ولم يجعلنا شياطين مردة فتح لنا أبواب مغفرته ورضوانه وأخبرنا على لسان صفيه — صلى الله عليه وسلم–أننا لو لم نذنب لاستبدلنا بقوم يذنبون ثم يستغفرون

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «وَالذي نَفسي بيدهِ لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ ،وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ فيستغفرون فيغفر لهم».([١٠٣])

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصى ربه في شهر شعبان

---

[١٠٣] – أخرجه أحمد (٣٠٩/٢). ومسلم (٩٤/٩)

لقد أظلك شهر الصوم بعدهما فلا تصيره أيضا شهر عصيان

واتل القرءان وسبح فيه مجتهدا فلا تصيره أيضا شهر عصيان

فاحمل على جسد ترجو النجاة له فسوف تضرَم أجساد بنيران

كم كنت تعرف ممن صام في سلف من بين أهل وجيران وإخوان

أفناهم الموت واستبقاك بعدهم حيا فما أقرب القاصي من الداني

ومعجب بثياب العيد يقطعها فأصبحت في غد أثواب أكفان

أول محطات المغفرة الصوم: فإنه يغفر الذنوب و يجلي القلوب كما اخبرنا حبيب علام الغيوب ،عن كعب بن عجرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " احضروا المنبر " فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: " آمين "، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: " آمين "، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: " آمين "، فلما فرغ نزل من المنبر قال: فقلنا له يا رسول الله لقد سمعنا اليوم منك شيئا لم نكن نسمعه قال: " إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له فقلت: آمين فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة قال: بعد من أدرك والديه الكبر عنده أو أحدهما، فلم يدخلاه الجنة – أظنه قال – فقلت: آمين " "([١٥٤])

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهما، إذا اجتنبت الكبائر ([١٥٥])

ثانيا قيام رمضان: صلاة التراويح مكفرة للذنوب كما أخبرنا صلى الله عليه وسلم–

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال : «كان رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– يُرغِّبُ في قيام رمضان ، من غيرِ أن يأمرَهم فيه بعزيمة ، فيقول : مَنْ قام رمضانَ إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ ،

[١٥٤] – أخرجه الطبراني (١٤٤/١٩، رقم ٣١٥)، والحاكم (١٧٠/٤، رقم ٧٢٥٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٥/٢، رقم ١٥٧٢).

[١٥٥] – أخرجه مسلم (٨١٨/٢، رقم ١١٦٢)، وأبو داود (٣٢١/٢، رقم ٢٤٢٥)، والنسائي (٢٠٨/٤، رقم ٢٣٨٧)

فَتُوفِّيَ رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– والأمرُ على ذلك، ثم كان الأمرُ على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر».([١٥٦])

ثالثا قيام ليلة القدر: ومن روافد المغفرة في رمضان الحرص على إدراك ليلة القدر

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، عن النبي –صلى الله عليه وسلم –، قال: ((من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)) متفق عليه.) ([١٥٧])

والمعنى أن من قامها بالصلاة وسائر أنواع العبادة من قراءة ودعاء وصدقة وغير ذلك إيمانا بأن الله شرع ذلك واحتسابا للثواب عنده لا رياء ولا لغرض آخر من أغراض الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

رابعا العُمْرة: فهي مما يُكفّر الذنوب، ويطهّر القلوب؛ عن أبي هريرة أن رسول الله قال: ' العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) متفق عليه ([١٥٨])

والعمرة في رمضان أعظم منها في غيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال : ((عمرة في رمضان تعدل حجة – أو حجة معي)) متفق عليه ([١٥٩])

ويا له من فوزٍ عظيم أن يكون المعتمرُ في رمضان كمن حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكمن صحبه في إحرامه وفي طوافه وفي سعيه وفي كل مناسكه.

قال المباركفوري — رحمه الله –قوله (عمرة في رمضان تعدل حجة) في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض

للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض

وقال بن العربي — رحمه الله–حديث العمرة هذا صحيح وهو فضل من الله ونعمة فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها

---

[١٥٦] – أخرجه البخاري (٢٢/١، رقم ٣٧)، ومسلم (٥٢٣/١، رقم ٧٥٩)

[١٥٧] – أخرجه البخاري ٣٣/٣ (١٩٠١) ، ومسلم ١٧٧/٢ (٧٦٠) (١٧٥) .

[١٥٨] – أخرجه مالك (٣٤٦/١، رقم ٧٦٧)، وأحمد (٤٦٢/٢، رقم ٩٩٤٩)، والبخاري (٦٢٩/٢، رقم ١٦٨٣)، ومسلم (٩٨٣/٢، رقم ١٣٤٩)

[١٥٩] – أخرجه أحمد (٣٥٢/٣، رقم ١٤٨٣٧) ، والبخاري (٦٥٩/٢ ، رقم ١٧٦٤) ، وابن ماجه (٩٩٦/٢ ، رقم ٢٩٩٥) .

وقال بن الجوزي–رحمه الله–فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلوص المقصد ([١٦٠])

[١٦٠] – تحفة الأحوذي (٤/ ٧)

الصفة الثامنة

رمضان شهر الكرم والجود

أخي المسلم .... أختي المسلمة: ومن صفات شهر رمضان أنه شهر الكرم والجود فالله تعالى يجود على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار والنبي – صلى الله عليه وسلم يجود على امته بالبذل والعطاء والسخاء والمؤمنون يجودون على الفقراء والمساكين فيها لنتعرف على الجود وأهله

فضل الجود والكرم

اعلموا عباد الله: أن ثواب الجود والإنفاق عظيم، وقد رغَّبنا الله فيه في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال الله –تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٢]

وقال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٢٧٤].

* **الكرم بركة للمال واعلم أنك عندما تجود فإنه الله تعالى يبارك لك و يفتح عليك أبواب العطاء من الأرض و من السماء عَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا. ([١٦١])

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما نَقَصَ مال من صدقة –أو ما نقصتْ صدقة من مال –وما زاد اللهُ عبدا بعفْو إلا عزّا، وما تواضَعَ عبد لِلهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ». ([١٦٢])

---

[١٦١] – أخرجه البخاري (٥٢٢/٢، رقم ١٣٧٤)، ومسلم (٧٠٠/٢، رقم ١٠١٠)

[١٦٢] – أخرجه مسلم في الأدب (١٩) والترمذي في البر والصلة (٨٢)

جود الله تعالى على عباده في رمضان

الله تعالى هو الجواد الذي يجود على عباده في هذا الشهر الكريم وغيره بصنوف الخير والعطايا.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: الجواد: يعني أنه –تعالى–الجواد المطلق الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله، وكرمه، ونعمه المتنوعة، وخص بجوده السائلين بلسان المقال أو لسال الحال، من بَرّ، وفاجر، ومسلم، وكافر. وقال في موضع آخر: الجواد الذي عم بجوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمة فمنه، وهو الذي إذا مسهم الضر فإليه يرجعون، وبه يتضرعون، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منّ الله به عليهم من الأسباب المقتضية لجوده، وكرمه، وأعظمها تكميل عبودية الله الظاهرة والباطنة، العلمية والعملية، القولية والفعلية، والمالية، وتحقيقها باتباع محمد –صلى الله عليه وسلم–بالحركات والسكنات. ([١٦٣])

أيها الأحباب وشهر الصيام شهر تظهر فيه معالم فضله و عطائه — جل جلاله – على عباده ؛ ففيه يفتح الله لعباده من أبواب العفو والصفح والتوبة والمغفرة ما لا يكون في غيره، ويهيئ لهم من الأسباب ما يعينهم على ذلك في هذا الشهر، فقد ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "إِذَا كَانَ أَوّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشّرّ أَقْصِرْ"([١٦٤])

يفعل ذلك كله –سبحانه وبحمده–تهيئة لجوٍ مناسب للعبادة يعين المسلم على أدائها.

*ومن جوده –سبحانه–أنه جعل الصيام يشفع للصائم، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الصّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْته الطّعَامَ وَالشّهْوَةَ فَشَفّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْته النّوْمَ بِاللّيْلِ فَشَفّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفّعَانِ" ([١٦٥])

---

[١٦٣] – تفسير أسماء الله الحسنى –السعدي (ص: ٣٠) توضيح الكافية الشافية (ص١٢٤).

[١٦٤] – أخرجه الترمذي (٦٦/٣، رقم ٦٨٢)، وابن ماجه (٥٢٦/١، رقم ١٦٤٢)، وابن حبان (٢٢١/٨، رقم ٣٤٣٥)

[١٦٥] – أخرجه أحمد (١٧٤/٢، رقم ٦٦٢٦)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٨١/٣) قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح

*ومن جوده –سبحانه–على الصائم في هذا الشهر وغيره أن الصائم إذا خُتم له بالصيام بأن كان آخر أعماله أو مات صائماً دخل الجنة، فقد قال –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَ دَخَلَ الْجَنَّةَ"([١٦٦])

ومن جوده –سبحانه–في هذا الشهر أَنّ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"، و"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" متفق عليهما، ومَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" ([١٦٧])

عن زيد بن خالد الجهني –رضي الله عنه –أن رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم–قال: "مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا ينقصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا" ([١٦٨]).

* أيها الآباء: ومن أعظم الجود أن يجود الله على عبيده بالعتق من النار عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ "([١٦٩])

فيا أيها الأحباب قد فتح لكم الباب وهيئة لكم أسباب المغفرة والرحمة فلا تبخلوا على أنفسكم ولا تحرموها من جود الله تعالى عليكم: عن مالك بن الحويرث قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم– "أَتَانِي جِبْرِيلُ، فقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ" ([١٧٠])

* ومن جوده –تعالى–عليكم في هذا أن الله جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فانه يصب على أهله العطاء صبا هريرة –رضي الله عنه –: أن النبيَّ –صلى الله عليه وسلم–قال: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يضاعَفُ: الحسنةُ عشر أمثالها إلى سبعمائةِ ضِعْف، قال الله عزَّ وجلَّ: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يَدَع شهوتَهُ وطعامَه من أجْلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فِطْره، وفرحة عند لقاءِ ربِّه، ولَخُلُوفُ فيه أطيب عند الله من ريح المسكِ». ([١٧١])

---

[١٦٦] – أخرجه أحمد (٣٩١/٥ رقم ٢٣٣٧٢) قال الهيثمي (٢١٥/٧) رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن مسلم البتى وهو ثقة.

[١٦٧] –سبق تخريجه

[١٦٨] – أخرجه أحمد (١١٤/٤، رقم ١٧٠٧٤)، وعبد بن حميد (ص ١١٧، رقم ٢٧٦)

[١٦٩] – سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٦)

[١٧٠] – أخرجه الطبراني (١٤٤/١٩، رقم ٣١٥)، والحاكم (١٧٠/٤، رقم ٧٢٥٦) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٥/٢، رقم ١٥٧٢)

[١٧١] – أخرجه أحمد (٢٦٦/٢) والدارمي (١٧٧٨) والبخاري (١٧٥/٩) ومسلم (١٥٨/٣)

* ومن أعظم جوده –سبحانه–على عباده في هذا الشهر أن جعل فيه ليلة عظيمة قال عنها في محكم التنزيل: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [سورة القدر].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يُبَشِّرُهُمْ: " قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَيُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ " (١٧٢)

جود النبي العدنان–صلى الله عليه وسلم–في رمضان

أما جود النبي – صلى الله عليه وسلم– فمن سمت روحه و نهلت من معين جود الجواد –جل جلاله– فلا بد أن يتصف بصفاته و هي الجود فقد كان نبيك – صلى الله عليه وسلم –من أجود الناس فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ "(١٧٣)

ما قال لاء إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وإنما كان جوده –صلى الله عليه وسلم–في رمضان خاصةً أكثر لثلاثة أسباب:

السبب الأول: لمناسبة رمضان، فإنَّ رمضان شهر تضاعف فيه الحسنات،

وترفع فيه الدرجات، فيتقرب فيه العبيد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

السبب الثاني: كثرة قراءته–صلى الله عليه وسلم –للقرآن في رمضان، والقرآن فيه آيات كثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله، والتقلل من الدنيا والزهد فيها والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب الإنسان لأن ينفق في سبيل الله، وحري بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة في سبيل الله.

---

١٧٢ – مسند أحمد ط الرسالة (١٢/ ٥٩) وأخرجه عبد الرزاق (٨٣٨٣)، وابن أبي شيبة ١/٣، وإسحاق بن راهويه (١) و (٢)، والنسائي ١٢٩/٤

١٧٣ – أخرجه: البخاري ٤/١ (٦) ، ومسلم ٧٣/٧ (٢٣٠٨) (٥٠) .

السبب الثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى جبريل في كل ليلة،

ولقاؤه لجبريل من باب مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان وتحث على الطاعة،

فلذلك كان –صلى الله عليه وسلم –يكثر من الصدقة في رمضان.

صور مِن كرم النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وجوده

لقد مثَّل النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة في الجُود والكَرَم، فكان أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير مِن الرِّيح المرسلة.

وقد بلغ صلوات الله عليه مرتبة الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه، ثقة بعظيم فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه –قال: «ما سئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غَنما بين جبَلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلِمُوا، فإن محمدا يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيد إلا الدنيا، فما يلبثُ إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها». ([١٧٤]). .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: «لو أن لي مثل أحد ذهبا ما سرني أن يأتي على ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين». ([١٧٥])

(إنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم، يقدِّم بهذا النَّموذج المثالي للقدوة الحسنة، لاسيَّما حينما نلاحظ أنَّه كان في عطاءاته الفعليَّة، مطبِّــقًا لهذه الصُّورة القوليَّة التي قالها، فقد كانت سعادته ومسرَّته عظيمتين حينما كان يبذل كلَّ ما عنده مِن مال.

ثمَّ إنَّه يربِّي المسلمين بقوله وعمله على خُلُق حبِّ العطاء، إذ يريهم مِن نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها)

---

[١٧٤] – أخرجه: مسلم ٧٤/٧ (٢٣١٢) (٥٧)

[١٧٥] – أخرجه البخاري (٢٣٦٨/٥، رقم ٦٠٨٠)

– وعن جبير بن مطعمٍ، أنَّه بينا هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه النَّاس، مقبلًا مِن حنينٍ، عَلِقَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرَةٍ،([176]) فَخطِفَتْ رداءه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاهِ ([177]) نَعَمًا، لقسمته بينكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلًا، ولا كذوبًا، ولا جبانًا)). ([178]) واه البخاري

فما أعظم كرمه وجوده وسخاء نفسه، صلى الله عليه وسلم، وما هذه الصِّفة الحميدة إلَّا جزءٌ مِن مجموع الصِّفات التي اتصف بها حبيبنا صلى الله عليه وسلم، فلا أبلغ ممَّا وصفه القرآن الكريم بقوله: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤].

صور من جود وكرم الصَّحابة–رضي الله عنهم أجمعين

أما من تربى في مدرسة العطاء ممن وصفهم رب الأرض والسماء بقوله {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]

فهذا من قال فيه ربه — عز و جل– {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: ١٧ – ٢١]

إنه صديق هذه الأمة و فاروقها عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطَّاب، يقول: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدَّق، فوافق ذلك عندي مالًا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا)). ([179]) رواه أبو داود

أمة الإسلام لن تنالوا البر ولن تنالوا الجنة إلا بالبذل والعطاء كما كان حال سلفكم

---

[176] –((السَّمُرَةُ)) : شَجَرَةٌ

[177] – وَ((العِضَاهُ)) : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ

[178] – أحمد (٨٤/٤ ، رقم ١٦٨٢١) ، والبخاري (١٠٣٨/٣ ، رقم ٢٦٦٦)

[179] – أخرجه الدارمي (٤٨٠/١، رقم ١٦٦٠)، وأبو داود (١٢٩/٢، رقم ١٦٧٨)، والترمذي (٦١٤/٥، رقم ٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح،

عن أنس – رضي الله عنه – ، قال : كان أبو طلحة – رضي الله عنه – أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية: { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون } قام أبو طلحة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال : يا رسول الله ، إن الله تعالى أنزل عليك : { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون } وإن أحب مالي إلي بيرحاء ، وإنها صدقة لله تعالى ، أرجو برها ، وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : بخ! ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين))، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه. ([180])

– (وقيل: مَرِض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقيل له: إنَّهم يستحيون ممَّا لك عليهم مِن الدَّيْن، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان مِن الزِّيارة، ثمَّ أمر مناديًا فنادى: مَن كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة مَن زاره وعاده) ([181])

* ذُكر أنَّ عبيد الله بن العبَّاس أتاه سائل وهو لا يعرفه، فقال له: تصدَّق عليَّ بشيءٍ، فإنِّي نُبِّئت أنَّ عبيد الله بن العبَّاس أعطى سائلًا ألف درهم واعتذر إليه، فقال: وأين أنا مِن عبيد الله فقال: أين أنت منه في الحسب أم في الكَرَم؟ قال: فيهما جميعًا، قال: أمَّا الحسب في الرَّجل فمروءته وفعله، وإذا شئت فعلتَ، وإذا فعلت كنت حسيبًا. فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه مِن ضيق نفقته. فقال له السَّائل: إن لم تكن عبيد الله بن العبَّاس فأنت خير منه، وإن كنت إيَّاه فأنت اليوم خير منك أمس، فأعطاه ألفًا أخرى، فقال له السَّائل: هذه هزَّة كريم حسيب) ([182])

نماذج مِن السَّلف في الكَرَم والجُود

ولقد تشبه الخلف بأخلاق السلف وحالهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم * * إن التشبه بالكرام فلاح

---

[180] – أخرجه: البخاري ١٤٨/٢ (١٤٦١)، ومسلم ٧٩/٣ (٩٩٨) (٤٢).

[181] – المستجاد من فعلات الأجواد–الدارقطني (ص: ٥١)

[182] – المستجاد من فعلات الأجواد– الدارقطني (ص: ٥٢)

*قال محمَّد بن صبيحٍ: (لما قدم أبو الزِّناد الكوفة على الصَّدقات، كلَّم رجلٌ حمَّاد بن أبي سليمان في رجلٍ يكلِّم له أبا الزِّناد، يستعين في بعض أعماله، فقال حمَّاد: كم يؤمِّل صاحبك مِن أبي الزِّناد أن يصيب معه؟ قال: ألف درهمٍ، قال: فقد أمرت له بخمسة آلاف درهمٍ، ولا يبذل وجهي إليه، قال: جزاك الله خيرًا، فهذا أكثر ممَّا أمَّل ورجا. قال عثمان: وقال ابن السَّمَّاك: فكلَّمه آخر في ابنه أن يحوِّله مِن كتابٍ إلى كتاب، فقال للذي يكلِّمه: إنَّما نعطي المعلِّم ثلاثين كلَّ شهرٍ، وقد أجريناها لصاحبك مائة، دع الغلام مكانه) ([183])

– وقال عبد الله بن الوسيم الجمَّال: (أتينا عمران بن موسى بن طَلْحَة ابن عبيد الله نسأله في دينٍ على رجلٍ مِن أصحابنا، فأمر بالموائد فنُصِبَت، ثمَّ قال: لا، حتى تصيبوا مِن طعامنا، فيجب علينا حقُّكم وذمامكم، قال: فأصبنا مِن طعامه، فأمر لنا بعشرة آلاف درهمٍ في قضاء دينه، وخمسة آلاف درهمٍ نفقةً لعياله) ([184]).

* و(كان هشام بن حسَّان إذا ذكر يزيد بن المهلَّب يقول: إن كادت السُّفن لتجري في جوده)

*و(كان ناسٌ مِن أهل المدينة يعيشون لا يدرون مِن أين كان معاشهم، فلمَّا مات علي بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يُؤْتَون باللَّيل. ([185])

*وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: (كان رجالٌ مِن بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلَّا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه) . ([186])

الواجب علينا في هذه الأيام

أمة الإسلام: الواجب علينا أن نطبق ما سمعنا و أن نترجمه ترجمة حرفية فورية إلى أرض الواقع فنبحث عن الفقراء و المساكين و نسأل عن اليتامى و الأرامل لنخفف عنهم لوعة الفقر و البأساء فلن

---

[183] – الكرم والجود للبرجلاني (ص: ٥٧)

[184] – الكرم والجود وسخاء النفوس – البرجلاني (ص: ٥٥)

[185] – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٨/ ٣٤٦٨)

[186] – الكرم والجود وسخاء النفوس – البرجلاني (ص: ٥٣)

ننال ما عند الله من نعيم و لن نرافق سيد الأولين إلا بمواساة هؤلاء عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنا و كافل اليتيم كهاتين في الجنة هكذا و أشار بالسبابة و الوسطى "([187])

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم –: «السَّاعي على الأَرْمَلَةِ، والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله –وأحْسِبُهُ قال –وكالقائم لا يفْتُرُ، وكالصائم لا يُفْطِرُ». ([188])

الصفة التّاسعة

رمضان شهر المواساة

---

[187] – أخرجه: البخاري ٦٨/٧ (٥٣٠٤).

[188] – أخرجه: البخاري ١١/٨ (٦٠٠٧)، ومسلم ٢٢١/٨ (٢٩٨٢) (٤١).

اعلم علمني الله وإياك: أن من الصفات التي يوصف بها شهر رمضان أنه شهر المواساة و قد ورد ذلك في حديث و إن كان ضعيفا و هو كما في حديث عن سلمان الفارسي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر يوم من شعبان فقال: يا أيها الناس إنه قد أظلكم شهر ... وهو شهر المواساة) ([189])

فما معنى المواساة وما هي صور المواساة؟ وما هي فضائل المواساة؟

تعريف المواساة: قال ابن مسكويه: المواساة: معاونة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات. ([190])

وقال ابن حجر–رحمه الله تعالى–: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء ([191])

وقال غيرهما: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق. ([192])

الإيمان والمواساة

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلّما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلّما قوي قويت، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعظم النّاس مواساة لأصحابه بذلك، فلا أتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟

فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم» ([193])

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما–أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أربعون خصلة–أعلاهنّ منيحة العنز–ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها، إلّا أدخله الله بها الجنّة» قال حسّان بن عطيّة–أحد الرّواة–فعددنا ما دون منيحة ([194]) العنز. من ردّ

---

[189] – ورواه العقيلي (١/ ٣٥) وفي إسناده إياس بن أبي إياس، قال العقيلي: مجهول وحديثه غير محفوظ، لكن توبع عليه.
ورواه ابن خزيمة (٣/ ١٩١: ١٨٨٧)، ورواه ابن شاهين في فضائل رمضان (ص ٣٧ و٣٩) ورواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٣٨)،

[190] – تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (٣/ ٣١).

[191] – الفتح (٧/ ٢٥)

[192] – لسان العرب لابن منظور (١/ ٨٢) ط. دار المعارف.

[193] – الفوائد ص ٢٢٤

[194] – المنيحة–بوزن عظيمة–العطية.

السّلام وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطّريق ونحوه فما استطعنا أن نبلّغ خمس عشرة خصلة ([195])

عن أبي موسى الأشعريّ–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكّوا العاني» ([196]).

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعسّ ([197]) وتروح بعسّ إنّ أجرها لعظيم» ([198])

قال إبراهيم بن أدهم–رحمه الله تعالى–: المواساة من أخلاق المؤمنين) * ([199]).

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «طعام الاثنين كافي الثّلاثة، وطعام الثّلاثة كافي الأربعة» ([200]).

المواساة في حياة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–

لقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فهو السراج المنير

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم – أروع الأمثلة في المواساة ولنذكر طرفا منها هنا:

عن المقداد–رضي الله عنه–أنّه قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد ([201]) فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فليس أحد منهم يقبلنا فأتينا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فانطلق بنا إلى أهله. فإذا ثلاثة أعنز.

فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «احتلبوا هذا اللّبن بيننا» قال: فكنّا نحتلب فيشرب كلّ إنسان منّا نصيبه. ونرفع للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نصيبه. قال: فيجيء من اللّيل فيسلّم تسليما لا يوقظ نائما. ويسمع اليقظان. قال: ثمّ يأتي المسجد فيصلّي. ثمّ يأتي شرابه فيشرب. فأتاني الشّيطان ذات ليلة،

---

[195] – مسند أحمد ت شاكر (٦/ ٤٣) ورواه البخاري ٥: ١٨٠ ورواه أبو داود ١٦٨٣

[196] – أخرجه: البخاري ١٥٠/٧ (٥٦٤٩).

[197] – العس: القدح الكبير.

[198] – مسند أحمد ط الرسالة (١٢/ ٢٤٩) وأخرجه الحميدي (١٠٦١)، ومسلم (١٠١٩)، وأبو يعلى (٦٢٦٨)، والبيهقي ١٨٤/٤–١٨٥

[199] – حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠).

[200] – أخرجه مالك (٩٢٨/٢، رقم ١٦٥٨)، والبخاري (٢٠٦١/٥، رقم ٥٠٧٧)، ومسلم (١٦٣٠/٣، رقم ٢٠٥٨)

[201] – الجهد: الجوع والمشقة.

وقد شربت نصيبي. فقال: محمّد يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم. ما به حاجة إلى هذه الجرعة. فأتيتها فشربتها. فلمّا أن وغلت في بطني ([٢٠٢]) وعلمت أنّه ليس إليها سبيل. قال: ندّمني الشّيطان.

فقال: ويحك! ما صنعت؟ أشربت شراب محمّد؟

فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك. فتذهب دنياك وآخرتك. وعليّ شملة إذا وضعتها على قدميّ خرج رأسي وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النّوم. وأمّا صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت. قال: فجاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فسلّم كما كان يسلّم.

ثمّ أتى المسجد فصلّى. ثمّ أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا. فرفع رأسه إلى السّماء فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك. فقال: «اللهمّ! أطعم من أطعمني. واسق من أسقاني» قال: فعمدت إلى الشّملة فشددتها عليّ.

وأخذت الشّفرة فانطلقت إلى الأعنز أيّها أسمن فأذبحها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإذا هي حافلة ([٢٠٣]) وإذا هنّ حفّل كلّهنّ، فعمدت إلى إناء لآل محمّد صلّى الله عليه وسلّم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتّى علته رغوة ([٢٠٤]). فجئت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال: «أشربتم شرابكم اللّيلة؟» قال: قلت: يا رسول الله! اشرب، فشرب ثمّ ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب. فشرب ثمّ ناولني، فلمّا عرفت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد روي، وأصبت دعوته، ضحكت حتّى ألقيت إلى الأرض. قال: فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إحدى سوآتك ([٢٠٥]) يا مقداد» فقلت: يا رسول الله! كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «ما هذه إلّا رحمة من الله أفلا كنت آذنتني، فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها» قال: فقلت: والّذي بعثك بالحقّ! ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك. من أصابها من النّاس) ([٢٠٦]).

---

[٢٠٢] – وغلت: أي دخلت وتمكنت منه.

[٢٠٣] –) (حافلة) الحفل في الأصل الاجتماع. ويقال للضرع الملوء باللبن: ضرع حافل، وجمعه حفّل.

[٢٠٤] –(رغوة) هي زبد اللبن الذي يعلوه، وهي بفتح الراء وضمها وكسرها ثلاث لغات مشهورات.

[٢٠٥] – (إحدى سوآتك) أي أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي؟

[٢٠٦] – أخرجه أحمد (٢/٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٢٨). ومسلم (١٢٨/٦)

عن عثمان بن عفّان–رضي الله عنه–أنّه قال وهو يخطب: إنّا والله قد صحبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في السّفر والحضر، يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإنّ ناسا يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قطّ) ([٢٠٧])

عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–أنّه قال: كنت جالسا في داري. فمرّ بي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فأشار إليّ. فقمت إليه. فأخذ بيدي. فانطلقنا حتّى أتى بعض حجر نسائه. فدخل. ثمّ أذن لي.

فدخلت الحجاب عليها. ([٢٠٨]) فقال: «هل من غداء» فقالوا: نعم. فأتي بثلاثة أقرصه. فوضعن على نبيّ ([٢٠٩]) فأخذ رسول الله قرصا فوضعه بين يديه. وأخذ قرصا آخر فوضعه بين يديّ. ثمّ أخذ الثّالث فكسره باثنين.

فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يديّ. ثمّ قال: «هل من أدم؟» قالوا: لا. إلّا شيء من خلّ. قال: «هاتوه.

فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُوَ ». ([٢١٠])

المواساة في حياة السلف الصالح من الصاحبة التابعين

لمّا كانت المواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنّصيحة. أو غير ذلك فإنّ من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصّة في أوقات حزنه، وعند تعرّضه لما يعكّر صفوه، وهنا فإنّ إدخال السّرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطّيّبة، أو المساعدة المكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانيّة هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها، وقد كان صلّى الله عليه وسلّم يواسي بالقليل

---

[٢٠٧] – أحمد (١/ ٦٩–٧٠) برقم (٥٠٤). وقال الشيخ أحمد شاكر (١/ ٣٧٨): إسناده حسن.

[٢٠٨] – فدخلت الحجاب عليها: معناه دخلت الحجاب إلى الموضع الذي فيه المرأة، وليس فيه أنه رأى بشرتها.

[٢٠٩] – على نبيّ: أي على مائدة من خوص، وروى «بتي» والبتّ: كساء من وبر أو صوف، فلعله منديل وضع عليه هذا الطعام. ورواه بعضهم بنيّ: وهو الصواب وهو طبق من خوص.

[٢١٠] – أخرجه مسلم انظر حديث رقم (٨٨١٧). مسند أبي عوانة (٥/ ١٩٦) السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٤٤٤)

والكثير، وقد علّمنا؟ أنّ من أقال مسلما من عثرته أقال الله عثرته، وأنّ الله عزّ وجلّ لا يزال في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه.

عن أنس قال: لمّا قدم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ[٢١١] حتّى خفنا أن يذهبوا بالأجر كلّه، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم» [٢١٢]

عن محمّد بن عليّ بن الحسن–رضي الله عنهم–قال: أراد جار لأبي حمزة السّكّريّ أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدّار، وبألفين جوار أبي حمزة، فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجّه إليه بأربعة آلاف، وقال لا تبع دارك» [٢١٣].

رمضان مضمار للمواساة

ورمضان شهر المواساة وإدخال الفرحة والبهجة على الفقراء والمساكين وكذلك المرضى و المحتاجين

ولقد حثنا النبي — صلى الله عليه وسلم–على إفطار الصائمين ورتب على ذلك الأجر والثواب من الكريم الوهاب عن زيد بن خالد الجهني قال: قال صلى الله عليه وسلم: " مَن فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء " [٢١٤]

والأجر الذي للمفطِّر إنما هو لمن أشبع لا لمن ابتدأ بالإطعام، فليس من قدَّم تمرة كمن ذبح شاة وأطعم خبزاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمراد بتفطيره: أن يُشبعه. [٢١٥]

---

[٢١١] – المهنأ: يقال: هنأني الطعام يهنؤني: أي تهنأت به وكل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيء، وكذلك المهنأ.

[٢١٢] – الترمذي (٢٤٨٧) واللفظ له وقال: هذا حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه، وأبو داود (٤٨١٢).

[٢١٣] – نزهة الفضلاء ١/ ٥٩٥

[٢١٤] – رواه الترمذي (٨٠٧) وابن ماجه (١٧٤٦). وصححه ابن حبان (٨ / ٢١٦) والألباني في " صحيح الجامع " (٦٤١٥).

[٢١٥] – " الفتاوى الكبرى " (٤ / ٤٦٠).

* عن ابن مسعود –رضي الله عنه –قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن عمل لله أغناه الله. ([٢١٦])

*وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: (كان رجالٌ مِن بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلَّا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه). ([٢١٧])

قال الذّهبيّ: قيل: كانت لأبي برزة الأسلميّ جفنة من ثريد غدوة، وجفنة عشيّة للأرامل واليتامى والمساكين) * ([٢١٨]).

عن يعقوب بن شيبة قال: أظلّ عيد من الأعياد رجلا–يومئ إلى أنّه من أهل عصره–وعنده مائة دينار، لا يملك سواها.

فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظلّنا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما ينفقه.

فجعل المائة دينار في صرّة، وختمها، وأنفذها إليه.

فلم تلبث الصرّة عند الرجل إلّا يسيرا حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، وذكر إضاقته في العيد، ويستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجّه بالصرة إليه بختمها.

وبقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له، وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرّة بخاتمها.

فلما عادت إليه صرّته التي أنفذها بحالها، ركب إليه، ومعه الصرّة، وقال له: ما شأن هذه الصرّة التي أنفذتها إليّ.

---

[٢١٦] – [موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/ ١٦٥].

[٢١٧] – الكرم والجود وسخاء النفوس – البرجلاني (ص: ٥٣)

[٢١٨] – نزهة الفضلاء ١/ ٢١٦

فقال له: إنّه أظلّنا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فكتبت إلى فلان أخينا، أستدعي منه، ما ننفقه، فأنفذ إليّ هذه الصرّة، فلما وردت رقعتك عليّ، أنفذتها إليك.

فقال له: قم بنا إليه.

فركبا جميعا إلى الثاني، ومعهما الصرّة، فتفاوضوا الحديث، ثم فتحوها، فاقتسموها أثلاثا.

قال أبو الحسن: قال لي أبي: والثلاثة: يعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزيادي القاضي، وأنسيت أنا الثالث. ([٢١٩])

الصفة العاشرة

رمضان شهر العتق من النار

[٢١٩] – تاريخ بغداد للخطيب ٢٨٢/١٤

إخوة الإسلام: إن شهر رمضان شهر تغلق فيه النار وتفتح فيه أبواب الجنان ويمن الله –تعالى –على من يشاء من عباده الصائمين ويعتقهم من نار جهنم، ويصبح معهم براءة من نار حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد

عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد –هو شك، يعني الأعمش –، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لله عتقاء في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة " ([220])

وعن جابر بن عبد الله مرفوعًا: ((إن لله عند كل فطرٍ عتقاءَ، وذلك في كل ليلة)) ([221])

وعن أبي سعيد الخُدْري مرفوعًا: ((إن لله –تبارك وتعالى –عتقاء في كل يوم وليلة –يعني: في رمضان – وإن لكل مسلم في كل يوم دعوةً مستجابة))، ([222])

وعن ابن مسعود مرفوعًا: ((لله –تعالى –عند كل فطر من شهر رمضان كلَّ ليلة –عتقاءُ من النار ستون ألفًا، فإذا كان يومُ الفطر أَعتَقَ مثل ما أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفًا)) ([223])

فهذه الأحاديث تفيد حقيقتين مهمتين جدًّا للصائمين في رمضان:

الأولى: كَثْرة العتقاء من النار في أيام الصوم في رمضان بمغفرة ذنوبهم، وقَبول عبادتِهم، وحفظهم من المعاصي التي هي أسباب العذاب، وهذا الوعد بهذا الكسب العظيم يَشْحَذُ هِمَمَ الصائمين للتسابق إلى إحسان عبادتهم، وإخلاص صيامهم، وعِمارة أوقاتهم بما يزيد قُرْبَهم من ربهم، عسى أن يفوزوا بكَرَمه بالعتق من النار.

الثانية: أن لكل عتيق دعوةً مستجابة، وهذا يُحمِّس الصائمين للإكثار من الدعاء وسؤال ربهم إجابةَ دعَوَاتهم، وتلبية حوائجهم، وتفريج كُرَبهم، وتحقيق أمنيَّاتهم، عسى إنْ كانوا من العتقاء أنْ تُستجاب دعواتُهم؛ فليتحرَّ الصائمون إخلاصَ الدعاء، خاصة عند الإفطار.

فرمضان موسم من مواسم العتق من نار جهنم وفيه تتنزل الرحمات وتعم النفحات ويغفر الله للمؤمنين والمؤمنات

---

[220] – أخرجه أحمد (٢/٢٥٤، رقم ٧٤٤٣) قال الهيثمي (١٠/٢١٦): رجاله رجال الصحيح. انظر صحيح الجامع: ٢١٦٩

[221] – رواه ابن ماجه: (١٦٤٣)، وقال الحافظ البُوصيري: "رجال إسناده ثقات". صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠١

[222] – أخرجه البزار: (٩٦٢) من "كشف الأستار"، وفي سنده أبان بن أبي عيَّاش وهو ضعيف، وليُنظر: "مجمع الزوائد": (٣/ ١٤٣)، و(١٠/ ١٤٩).

[223] – رواه البيهقيُّ في "شُعَب الإيمان": (٣٦٠٦) وقال المُنذري: "وهو حديث حسن لا بأس به في المتابعات".

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه –قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: " تعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده " ([٢٢٤])

صفة النار : فإن سألت عن نار جهنم التي ينبغي على كل عاقل أن يخلص نفسه منها حتى لا يعض على أنامل الندم يوم لا ينفع الندم و يكون حاله كما قال الله تعالى { وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك: ٦ – ١١]

{لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، قال الله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ} ([٢٢٥])

وقودها ودركاتها:

وقود النار: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (التحريم ٦) وقال سبحانه:

{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة ٢٤)

فالناس هم الوقود وهم المعذبون. فسبحان الخالق القادر.

يقول ابن رجب الحنبلي –رحمه الله –وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار ويقال: إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة: سرعة الإيقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا أحميت

---

[٢٢٤] – أخرجه الطبراني ح ٧٢٠ ، و البيهقي ح ١١٢١ ، انظر الصحيحة: ١٨٩٠

[٢٢٥] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (٨/ ١٧٨)

قال عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود في قوله تعالى: {وقودها الناس والحجارة}

قال: هي حجارة من الكبريت خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين خرجه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ([٢٢٦])

طعام أهل النار وشرابهم: أهل النار يصيبهم الجوع والعطش، فيطعمهم الله طعاماً يزيدهم عذاباً على عذاب، مما يجدونه من الألم والحر في بطونهم بعد أكله فلا هم يذهبون حرارة الجوع بذلك الطعام، ولا هم يهنؤون، قال تعالى: { لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ *لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} (الغاشية ٦-٧) والضريع نوع من الشوك المر النتن، لا ينفع آكله ولا يشبعه ويعرف عند الحجازيين بالشربق.

شدة حرها: وأما حر الدنيا فإنه يتقى، فقد مد الله لعباده الظل يقيهم الحر، ورزقهم الماء يرويهم من العطش، وأوجد لهم الهواء والريح الكريمة تلطف وتهون من شدة الفيح.

أما في جهنم فإن هذه الثلاثة تنقلب عذاباً على أهلها فالهواء سموم، والظل يحموم والماء حميم. قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ *فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ *لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} [الواقعة ٤١-٤٤] وقال سبحانه: {انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ *لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ *إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات ٣٠-٣٣]

خوف السلف من النار :

عن أبي ذر، قال: والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون، والله لو أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد وتؤكل ثمرتي...! ([٢٢٧])

قال عمر بن الخطّاب-رضي اللّه عنه-لمّا طعن: «لو أنّ لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب اللّه قبل أن أراه! ([٢٢٨])

---

[٢٢٦] – التخويف من النار (ص: ١٣٤)

[٢٢٧] – مصنف ابن أبي شيبة (٣٤١/١٣) ، مصنف عبد الرزاق (١٢٣/٧) ، حلية الأولياء (١٦٤/١) .

[٢٢٨] واه البخاري ٣٦٩٢

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر –رحمه الله–:

قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به،

قال: يا أخي، إن الله قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حريا أن لا تجف لي عين

قال: فقلت له: فهكذا أنت في خلواتك؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعني به، فقال: والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي، فيحول بيني وبين ما أريد، وإنه ليوضع الطعام بين يدي، فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله، حتى تبكي امرأتي ويبكي صبياننا، ما يدرون ما أبكان

ولربما أضجر ذلك امرأتي فتقول يا ويحها: ما خصصت به من طول الحزن معك في الحياة الدنيا، ما تقر لي معك عين. ([٢٢٩])

فحري بمن سمع بهذا الحديث أن يبذل قصارى جهده في الإتيان بالأسباب التي بها فكاك رقبته من النَّار، لا سيما في هذا الزمان الشريف، حيث رحمة الله السابغة، فيا باغي الخير هلمَّ أقبل، فقد صفدت الشياطين، وسجِّرت النيران، وفتِّحت أبواب الجنة، فيا لعظم رحمة الله !! أي ربٍ كريم مثل ربِّنا، له الحمد والنعمة والثناء الحسن.

فكم لله من عتقاء كانوا في رق الذنوب والإسراف، فأصبحوا بعد ذل المعصية بعز الطاعة من الملوك والأشراف. فلك الحمد

كم له من عتقاء صاروا من ملوك الآخرة بعدما كان في قبضة السعير. فلك الحمد.

فيا أرباب الذنوب العظيمة، الغنيمة الغنيمة في هذه الأيام الكريمة، فما منها عوض ولا لها قيمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة.

الطريق إلى العتق من النار

[٢٢٩] – حلية الأولياء [٥/١٦٤]

أحباب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بعدما تعرفنا على أن من صفات شهر رمضان أنه شهر العتق من النار، وتعرفنا على حر جهنم وخوف السلف منها، فما هو الطريق إلى العتق من النار؟

الجواب بحول الملك الوهاب: اعلم–زادك الله علما–أنه ما من باب من أبواب الخير إلا ودلنا عليه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وما من باب من أبواب الشر والعذاب إلا وحذرنا منه النبي الاواب – صلى الله عليه وسلم–وقد أرشدنا إلى موجبات العتق من النار وهاك بيانها:

أولا: الإخلاص:

فأول الأسباب وأعظمها أن تكون مخلصا لله تعالى في أحوالك وأعمالك وأقوالك

قال سهل التستري – رحمه الله –في معنى الإخلاص حيث قال رحمه الله تعالى "نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته – أي العبد – وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا ".

قال الغزالي –رحمه الله–: وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض.

قال الله تعالى﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾وكلمة المخلصين فيها قراءتان بكسر اللام وفتحها، فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر بكسر اللآم ، وقرأ الباقون بالفتح ، والاستدلال بهذه الآية على قراء ة المخلصين بالكسر .

قال السعدي رحمه الله: يقول الله تعالى:﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾فإنهم غير ذائقوا العذاب الأليم لأنهم أخلصوا لله الأعمال فأخلصهم واختصهم برحمته وجاد عليهم بلطفه.

عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ» (٢٣٠)

ومن أظهر علاماته: النشاط في طاعة الله، وأنْ يحب أن لا يطلع على عمله إلا الله.

قيل لذي النون: متى يعلم العبد أنَّه من المخلصين؟

---

٢٣٠ – أخرجه أحمد (٤٤٩/٥ ، رقم ٢٣٨٢١) ، والبخاري (٢٣٦٠/٥ ، رقم ٦٠٥٩)

قال: إذا بذل المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة عند النَّاس.

فإذا أردت الفوز بهذه المنزلة العظيمة فجدَّ واجتهد، وشد المئزر، وأرِ الله من نفسك شيئًا يبلغك رضاه، وبقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى، وعلى قدر جدِّك يكون جدُّك،

قال الصديق أبو بكر رضي الله عنه: والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإنِّي لعلى السبيل ما زغت. ([٢٣١])

قيل للربيع بن خثيم: لو أرحت نفسك؟

قال: راحتها أريد.

فجُد بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايتك، وتحقيق بغيتك؛ فالمكارم منوطة بالمكاره، والمصالح والخيرات لا تُنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب

فكل شيء نفيس يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله،

يقول ابن الجوزي في " صيد الخاطر ": فلله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل، ويثابرون على كل فضيلة، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة، وهم لها سابقون ([٢٣٢])

ثانيا: إصلاح الصيام:

واعلم –بارك الله فيك–أن من سباب العتق من النار في شهر رمضان أن يصلح الصائم صومه من كل ما يشوبه من رياء أو ارتكاب فعل محرم أو ترك واجب من الواجبات

عن عثمان بن أبي العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصوم جنة يستجن بها العبد من النار [([٢٣٣])]

---

[٢٣١] – جامع الأحاديث (٢٥/ ٢٢٨) أخرجه ابن عساكر (٤١٥/٣٠)

[٢٣٢] –

[٢٣٣] – رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني (٣٨٦٧) في صحيح الجامع]

قال المناوي – رحمه الله– (الصوم جنة يستجن بها العبد من النار) وأصل الجنة بالضم الترس شبه الصوم به لأنه يحمي الصائم عن الآفات النفسانية في الدنيا وعن العقاب في الأخرى قال القاضي : والجنة بالضم الترس وبالكسر الجنون وبالفتح الشجر المظل وأطلقت على البستان بما فيها من الأشجار وعلى دار الثواب لما فيها من البساتين وثلاثيتها مأخوذ من الجن بمعنى الستر.([٢٣٤])

والدليل أن الصوم يعدل الرقبة أن الله تعال جعل الله الصيام بدل عتق الرقبة في دية القتل الخطأ وكفارة الظهار قال الله تعالى: {فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ٩٢]

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا}

[المجادلة: ٣ –٤]

فإذا كان الصيام بديلاً عن العتق، وإذا كان من أعتق رقبة أُعتق بها من النَّار، فلعل الإكثار من الصيام سبب لنفس الجزاء

فلابد من تعاهده بالإصلاح، بأنْ يكون صيامًا عن المحرمات، وعدم الوقوع في المكروهات، وعدم التوسع في المباحات، صيام للجوارح، بل صيام للقلب عن كل شاغل يشغله عن الله، فترفق، ولا تستكثر من أمور الدنيا في رمضان، فرمضان الفرصة الثمينة للفوز بالجنة والنجاة من النار.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم)) ([٢٣٥]).

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فَليسَ للهِ حاجة فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ». ([٢٣٦])

ثالثا: إطعام الطعام للمساكين

---

[٢٣٤] – فيض القدير (٤/ ٣١٩)

[٢٣٥] – أخرجه مالك (٣١٠/١، رقم ٦٨٢)، والبخاري (٦٧٣/٢، رقم ١٨٠٥)، ومسلم (٨٠٦/٢،

[٢٣٦] – أخرجه أحمد (٤٤٣/٢، رقم ٩٧١٧)، والبخاري (٢٢٥١/٥، رقم ٥٧١٠)،

و من موجبات العتق من النار أن تطعم الطعام و خاصة شهر رمضان الكريم الذي تجود فيه النفوس وقد جعل الله إطعام الطعام محل العتق في كفارة الظهار {ومَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة : ٤]

وجعل إطعام المساكين أو كسوتهم محل عتق الرقاب في كفارة الأيمان قال تعالى: { لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة المائدة :٨٩]

وقد جاء في بعض الإسرائيليات: قال موسى u لرب العزة عزَّ وجل: فما جزاء من أطعم مسكينا ابتغاء وجهك؟ قال: يا موسى آمر مناديا ينادي على رؤوس الخلائق إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار. (٢٣٧)

ولإطعام الطعام – لاسيما للفقراء والمساكين – مزية عظيمة في الإسلام، فهو من أفضل الأعمال الصالحة عند الله تعالى:

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال صلى الله عليه وسلم: " مَن فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء ". (٢٣٨)

والأجر الذي للمفطِّر إنما هو لمن أشبع لا لمن ابتدأ بالإطعام، فليس من قدَّم تمرة كمن ذبح شاة وأطعم خبزاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمراد بتفطيره: أن يُشبعه. (٢٣٩)

رابعا: إصلاح الصلاة بإدراك تكبيرة الإحرام.

أن تواظب على ادراك تكبيرة الإحرام مع الإمام أربعين يوما وليلة فتنال بذلك البراءة الربانية من النار و من النفاق فلا يثابر على ذلك إلا مخلص يرجو وجه الله تعالى و يخاف من عقاب منعن أنس – رضي

---

٢٣٧ –. [حلية الأولياء (١٩/٦)]

٢٣٨ – رواه الترمذي (٨٠٧) وابن ماجه (١٧٤٦). وصححه ابن حبان (٨ / ٢١٦) والألباني في " صحيح الجامع " (٦٤١٥).

٢٣٩ – " الفتاوى الكبرى " (٤ / ٤٦٠).

الله عنه–قال: قال: رسول الله–صلى الله عليه وسلم– صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار و براءة من النفاق [([٢٤٠])

وهذا مشروع إيماني ينبغي أن تفرغ له نفسك، إنها مائتا صلاة، فاعتبرها مائتي خطوة إلى الجنة، فهل لا تستحق سلعة الله الغالية أنْ تتفرغ لها؟

وطريقك إلى ذلك أن تتخفف من أعباء الدنيا طوال هذه المدة، وعليك بالدعاء مع كل (صلاة) أن يرزقك الله الصلاة التالية تدرك تكبيرة الإحرام فيها، وهكذا.

واعلم أنَّ إصلاح النَّهار سبيل إلى إصلاح الليل، والعكس صحيح، وهذا يكون باجتناب الذنوب والحرص على الطاعات ووظائف الوقت من أذكار ونحوها، فقط اجعل الأمر منك على بال، واجتهد في تحقيقه، واستعن بالله ولا تعجز، فإن تعثرت في يوم، فاستأنف ولا تمل، فإنَّها الجنة، إنَّه العتق من النار، والسلامة من الدرك الأسفل فيها.

خامسا: المحافظة على صلاتي الفجر والعصر.

ومن موجبات العتق من النار أن تكون ممن يوظب على الصلاة الخمس في وقتها وان تواظب على صلاة الفجر والعصر فلهما مزية ليست لغيرهما من الفرائض لذا خصهما النبي — صلى الله عليه وسلم–بتلك المنقبة

عن أبي زهير عمارة بن رؤيبة –رضي الله عنه –، قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، يقول: ((لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)) يعني: الفجر والعصر ([٢٤١])

تخصيصها بذلك أنَّ وقت الصبح يكون عند النوم ولذَّته، ووقت العصر عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار. ففي صلاتهما دليلٌ على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانه ببقية الصلوات الخمس.

قال الله تعالى {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ

---

[٢٤٠] – [رواه الترمذي وحسنه الألباني (٦٣٦٥) في صحيح الجامع]

[٢٤١] – أخرجه أحمد (١٣٦/٤، رقم ١٧٢٥٩)، وأبو داود (١١٦/١، رقم ٤٢٧)، ومسلم (٤٤٠/١، رقم ٦٣٤) ، والنسائي (٢٣٥/١ ، رقم ٤٧١)

* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور (٣٦: ٣٨)] .([٢٤٢])

سادسا: المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وبعده

أخي السلم وأنت في شهر رمضان شهر تضاعف فيه الأعمال وترفع فيه الدرجات وتقال فيه العثرات فعليك بتخليص رقبة من نار جنهم ومما يعتق رقبتك من النار أن تواظب على أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربعا بعدها ففيهم خلاص وفيهم تحريم جسدك على النار

عن أم حبيبة –رضي الله عنها –، قالت: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يقول: "من يُحافِظْ على أربعِ رَكَعاتٍ قبلَ الظُّهرِ، وأربع بعدَها، حرَّمه اللهُ على النار" ([٢٤٣])

فهذا الفضل لا يحصل إلا لمن حافظ على هذه الركعات، وبعض العلماء يرى أنَّها سنة مؤكدة لما لها من جزاء عظيم.

فإذا وجدت نفسك تستصعب هذا فذكرها {حرَّمه الله على النار} وألح عليها تعتاده، وإنه ليسير على من وفقه الله تعالى

ثامنا: البكاء من خشية الله تعالى

و نحن في شهر تلين فيه القلوب و تخشع فيه و ذلك لكثرة ما فيها من طاعات و قربات و وكذب البعد عن المعاصي و المخالفات مما يزيد في إيمان العبد و يجعل قلبه رقيقا و دمعه غزيرا، فانظر اليهم و هم في صلاة التراويح و قد وجلت قلوبهم، و دمعت عيونهم، وخشعت جوارحهم، فتسمع الأنين، و البكاء، و ترى التضرع و الرجاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم)) ([٢٤٤])

---

[٢٤٢] – تطريز رياض الصالحين (ص: ٦١٢)

[٢٤٣] – رواه الإمام أحمد في "المسند" (٦/ ٣٢٦)، والنسائي (١٨١٦ وأبو داود (١٢٦٩)، والترمذي (٤٢٨) وصححه الألباني (٥٨٤) في صحيح الترغيب]

[٢٤٤] –أخرجه ابن ماجه (٢٧٧٤)، والترمذي (١٦٣٣) وصححه الألباني (٧٧٧٨) في صحيح الجامع]

فهنيئًا لك إذا صحت لك دمعة واحدة من خشية الله، فإنَّ القلوب تغسل من الذنوب بماء العيون، والبكاء قد يكون كثيرًا لاسيما في رمضان ومع سماع القرآن في صلاة التراويح والتهجد، ولكن كما قال سفيان الثوري: إذا أتى الذي لله مرة واحدة في العام فذلك كثير

ويكفي أنَّ من رزق تلك الدمعة قد اختصه الله بفضل لا يبارى فيه

تأملوا عباد الله في حال سيد الرجال — صلى الله عليه وسلم–فعن عبد الله بن الشخير –رضي الله عنه –قال: أتيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –وهو يصلي ولجوفه أزيز ([٢٤٥]) كأزيز المرجل([٢٤٦]) من البكاء) ([٢٤٧])

دمعة مالحة تكون لخطاياك ماحة ولرقبتك معتقة يا لها من دمعة غالية ترفع صاحبها جنة عالية

أيها الباكي من خشية الرحمن ها أنت في ظل عرش الرحمن يوم الحشر : فأنت من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظلَّ إلا ظله هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يقول : «سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه : الإمامُ العادلُ ، وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعودَ إليه ، ورجلان تحابَّا في الله ، اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه ، ورجل دَعَتْهُ امرأة ذاتُ مَنْصِب وجمال، فقال : إني أخافُ الله ، ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه ، ورجل ذَكَرَ الله خاليا ففاضت عيناه».([٢٤٨])

قال خالد بن معدان: إنَّ الدمعة لتطفئ البحور من النيران، فإنْ سالت على خد باكيها لم ير ذلك الوجه النَّار، وما بكى عبد من خشية الله إلا خشعت لذلك جوارحه، وكان مكتوبًا في الملأ الأعلى باسمه واسم أبيه منورًا قلبه بذكر الله) ([٢٤٩])

فنعوذ بالله من عين لا تدمع من خشيته، ونسأله عينًا بالعبرات مدرارة، وقلبًا خاشعًا مخبتًا.

---

[٢٤٥] –أي: صوت البكاء وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء. النهاية ٤٥/١

[٢٤٦] – أي: الإناء الذي يغلى فيه الماء. النهاية ٣١٥/٤.

[٢٤٧] –أخرجه: أبو داود (٩٠٤)، والترمذي في " الشمائل " (٣٢٢)، والنسائي في " الكبرى " (٥٤٥).

[٢٤٨] – أخرجه: البخاري ١٣٨/٢ (١٤٢٣)، ومسلم ٩٣/٣ (١٠٣١) (٩١) .

[٢٤٩] –. [الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ص(٤٨)]

الصفة الحادية عشر

رمضان شهر الجنة

إن شهر رمضان جسر ممدود إلى الجنة، من عرف كيف يسير في دربه وضع أقدامه في الجنة يوم تزّل أقدام وأقدام في النار.

والجنة تفتح أبوابها أمام الصائمين والصائمات كما قال: عن أبي هريرة –رضي الله عنه –قال: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: «إذا دخل رمضان فُتِّحَتْ أبوابُ السماء، وأُغلقت أبوابُ جهنم، وسُلْسِلت الشياطين» ([٢٥٠])

أما فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار فهو من رحمة الله عز وجل وفضله لهذه الأمة، فلما كثرت طاعة المسلمين وإقبالهم على الله عز وجل في هذا الشهر بادر الله عز وجل بفتح أبواب الجنة، ولذلك لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام: فُتِحَت أبواب الجنة وهو الفتح الطبيعي، وإنما قال: (فُتِّحَتْ) وهي صيغة مبالغة في فتح هذه الأبواب، أي: كل باب يفتح على مصراعيه، ومصراع الباب الواحد من أبواب الجنة كما بين المشرق والمغرب.

فهذه الأبواب تفتح عن آخرها استقبالاً لأهل الله عز وجل، للصائمين والقائمين والذاكرين والتالين وغير ذلك من أقسام الطاعة. ([٢٥١]).

الجنة هي دار الخلود، ونعيمها دائم، لا يعتري سكانها نصبٌ أو همٌ أو حزن، ويتمتعون بما أحل الله تعالى لهم بفضله وكرمه، وفيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيا باغي الخير أقبل فالأبواب مفتحة، ويا باغي الشر أقصر فالأبواب مغلقة.

البشارة الربانية للمؤمنين والمؤمنات بالجنة

اعلم بارك الله فيك: أن الله أمر نبيه محمد أن يبشر بالجنة من آمن وعمل صالحاً، قال الله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [البقرة:٢٥].

يقول الطبري — رحمه الله– وهذا أمر من الله تعالى نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقَه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه، وصدّقوا إيمانهم ذلك وإقرَارهم بأعمالهم الصالحة، فقال له: يا محمد، بشِّرْ من صدَّقك أنك رسولي – وأن ما جئتَ به من الهدى والنور فمن عندي، وحقَّق تصديقَه ذلك قولا بأداء الصالح من الأعمال التي افترضتُها عليه، وأوجبتُها في كتابي على لسانك عليه – أن له جنات تجري من تحتها الأنهار، خاصةً، دُون من كذَّب بك وأنكرَ ما جئته به من الهدى من عندي وعاندك ، ودون من أظهر تصديقك ، وأقرّ أن ما جئته به

---

[٢٥٠] – أخرجه البخاري (٦٧١/٢، رقم ١٧٩٩)، ومسلم (٧٥٨/٢، رقم ١٠٧٩).

[٢٥١] – شرح صحيح مسلم –حسن أبو الأشبال (١٢/ ٥)

فمن عندي قولا وجحده اعتقادًا، ولم يحققه عملا. فإن لأولئك النارَ التي وقُودها الناسُ والحجارة، مُعدةً عندي. والجنات: جمع جنة، والجنة: البستان.

وإنما عَنى جلّ ذكره بذكر الجنة: ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها، دون أرضها –ولذلك قال عز ذكره ": تجري من تحتها الأنهار". لأنّه معلومٌ أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبرَ عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جارٍ تحت أرضها. لأن الماء إذا كان جاريًا تحت الأرض، فلا حظَّ فيها لعيون منْ فَوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه. على أنّ الذي تُوصف به أنهارُ الجنة، أنها جارية في غير أخاديد. ([٢٥٢])

أصحاب الحبيب النبي يسألون عن الأعمال التي تدخلهم الجنة

اعلم –بارك الله فيك–: أن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم من أحرص الناس على الخير وعلى دخول الجنة لذا نجدهم يسألون النبي – صلى الله عليه وسلم–عما يقربهم من الجنة ويباعدهم عن النار عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري –رضي الله عنه –: أن رجلا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. فقال النبي –صلى الله عليه وسلم – ((تعبد الله ، ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم)) ([٢٥٣])

عن معاذ –رضي الله عنه –قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: ((لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)) ثم قال: ((ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل)) ثم تلا: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} حتى بلغ {يعملون} [النور: ١٦] ثم قال: ((ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه)) قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)) ثم قال: ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله!)) قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: ((كف عليك هذا)) قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ((ثكلتك أمك! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟)). ([٢٥٤])

---

[٢٥٢] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر (١/ ٣٨٣)

[٢٥٣] – أخرجه: البخاري ١٣٠/٢ (١٣٩٦)، ومسلم ٣٣/١ (١٣) (١٤) .

[٢٥٤] – أخرجه: ابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦) .

وصفة الجنة

١-أرضها وتربتها

عن أبي هريرة: قال: قلت يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم) ([٢٥٥]).

واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمـــن ناشيـــها

قصورها ذهبٌ والمسك طينتـهـا ... والزعفران حشيشٌ نابتٌ فيـــــها

أنهارها لبنٌ مصفى ومن عسلٍ ... والخمر يجرى رحيقاً في مجاريها

والطير تجرى على الأغصان عاكفةً ... تسبح الله جهـــراً في مغانيـــها

فمن يشترى الدار في الفردوس ... يَعمرُها بركعةٍ في ظلام الليل يُحيها

٢-أنهارها: فإن سألت عن أنهارها فقد أجراها الله تعالى بكرمة مم لم يخطر على بال احد قال تعالى: ((مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ١٥)) (سورة محمد)

وقال تعالى: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (البقرة ٢٥)

٣-قصورها ومساكنها

---

[٢٥٥] – أخرجه أحمد (٤٤٥/٢، رقم ٩٧٤٢) ، وهناد في الزهد (١٠٦/١ ، رقم ١٣٠) ، والترمذي (٦٧٢/٤ ، رقم ٢٥٢٦) وقال : ليس إسناده بذاك القوى وليس هو عندي بمتصل . وأخرجه أيضًا : الدارمى (٤٢٩/٢ ، رقم٢٨٢١)

أما قصورها فقد بناها الرحمن وغرس كرامتها بيديه – جل شأنه وعظم سلطانه –قال تعالى {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمر: ٢٠]

عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه –قال: أَن النَّبيَّ–صلى الله عليه وسلم–قال: «إن للمؤمِن في الجنة لَخَيْمَة مِنْ لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ميلا –وفي رواية: عرضها –للمؤمن فيها أهلوُنَ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا» ([٢٥٦]).

٤–الفرش والأواني

قال تعالى: ((مُتَّكِئِينَ عَلَى؟ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ٥٤)) الرحمن

فإذا كانت البطائن من استبرق فما بالك بظاهر الفرش!

وأما عن الأواني: فقال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]

وقال تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا} [الإنسان: ١٩]

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ويُطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، هي من فضة كانت قواريرًا، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج. ([٢٥٧]).

٥–الطعام والشراب

قال تعالى: ((و {وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة: ٢٠، ٢١] وقال سبحانه {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٢، ٣٣]

---

[٢٥٦] – أخرجه أحمد (٤/٤١١، رقم ١٩٦٩٦)، ومسلم (٤/٢١٨٢، رقم ٢٨٣٨)، والترمذي (٤/٦٧٣، رقم ٢٥٢٨) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: البخاري (٤/١٨٤٩، رقم ٤٥٩٨) .

[٢٥٧] – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر (٢٤/ ١٠٤)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام". قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: {وظل ممدود} [الواقعة: ٣٠]. ([٢٥٨]).

٦-نساؤها

قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنّاتٍ تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرةٌ وندخلهم ظلاً ظليلاً) [النساء:٥٧].

فهذه بشارةٌ عظيمة بشّر الله تعالى بها عباده المؤمنين المتّقين.

فأزواجهم في الجنّة طاهرات مِن كلّ قذرٍ وخبث وآفة، سواء في ذلك ظاهرهنّ وباطنهنّ.

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله في (والمُطَهَّرة التي طُهِّرتْ مِن الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكلّ قذر وكلّ أذى يكون مِن نساء الدنيا.

فطُهِّر مع ذلك باطنها مِن الأخلاق السيّئة والصفات المذمومة.

وطُهِّر لسانها مِن الفحش والبذاء.

وطُهِّر طرفها مِن أن تطمح به إلى غير زوجها.

وطُهِّرتْ أثوابها مِن أن يعرض لها دنس أو وسخ) ([٢٥٩])

ولنتأمل معا هذه الآيات من سورة الرحمن وقال تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٥٦ -٥٨]

قاصرات الطرف أي تقصر طرفها على زوجها فلا تنظر إلى غيره ولا تطمح لسواه وهن كما قال تبارك وتعالى {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٣٥ -٣٨]

---

[٢٥٨] – أخرجه الحميدي "١١٣١"، والبخاري"٤٨٨١" وأخرجه أحمد ٤١٨/٢، ومسلم "٢٨٢٦" "٧"

[٢٥٩] –(حادي الأرواح) (٢٨٣-٢٨٤):

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة على أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما بريحها، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». ([٢٦٠]).

٧-الخدم والغلمان

أما خدم أهل الجنة فقد حدثنا عن صفاتهم العليم الخبير -جل جلاله-فقال تعالى: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ) (الطور: ٢٤)

وقوله تعالى {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان: ١٩، ٢٠]

يقول السعدي – رحمه الله- في قوله {وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ } أي: خلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، { إِذَا رَأَيْتَهُمْ } منتشرين في خدمتهم { حَسِبْتَهُمْ } من حسنهم { لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا } وهذا من تمام لذة أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، { وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ } أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم { رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا } فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية] ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه. ([٢٦١])

---

[٢٦٠] – [البخاري، برقم ٦٥٦٨، ورقم ٢٧٩٦]،

[٢٦١] – تفسير السعدي (ص: ٩٠١)

٨-لباسها وزينتها

قال سبحانه وتعالى :(عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍوَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١) الإنسان

عن أبي هريرة –رضي الله عنه –: قال: قال النبيُّ –صلى الله عليه وسلم–: «أهل الجنة جرْد، مرد، كحّلَى، لا يفنى شبابُهم، ولا تَبلى ثيابهم». ([٢٦٢]).

٩-حال أهلها

عن أبي هريرة –رضي الله عنه – :قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:«إن أوَّل زُمرَة يدخلون الجنة : على صُورةِ القَمَرِ لَيلَةَ البدرِ ، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوَّطُون ، ولا يتْفَلون ، ولا يمتَخطُون ، أمشاطُهُم الذهب ، ورَشْحُهم المسك ، ومجامِرُهم الألوَّةُ – الألنّجوج عُود الطيب – أزواجهُم الحور العين ، على خلْقِ رجُل واحد ، على صورةِ أبيهم آدم ستُّونَ ذِراعا في السماء». ([٢٦٣]).

و قال سبحانه : ((تحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)) وأعظم ثواب أهل الجنة قال تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ٢٢ / ٢٣ القيامة

١٠-أدنى أهل الجنة هو:

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–(إن أدنى أهل الجنة منزلا رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة و مثل له شجرة ذات ظل فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها فقال الله : هل عسيت أن تسألني غيره ؟ قال : لا و عزتك فقدمه الله إليها و مثل له شجرة ذات ظل و ثمر فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها و آكل من ثمرها فقال الله : هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ؟ فيقول: لا وعزتك فيقدمه الله إليها فيمثل الله له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول: أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول له: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره؟ فيقول: لا

---

[٢٦٢] – أخرجه الدارمي (٢٨٢٩) والترمذي (٢٥٣٩

[٢٦٣] – أخرجه أحمد (٢٣١/٢، رقم ٧١٦٥) ، والبخاري (١٢١٠/٣ ، رقم ٣١٤٩) ، ومسلم (٢١٧٩/٤ ، رقم ٢٨٣٤) ، وابن ماجه (١٤٤٩/٢ ، رقم ٤٣٣٣) .

وعزتك لا أسألك غيره فيقدمه الله إليها فيبرز له باب الجنة فيقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون تحت سجاف الجنة فأرى أهلها فيقدمه الله إليها فيرى الجنة و ما فيها فيقول: أي رب أدخلني الجنة فيدخل الجنة فإذا دخل الجنة قال: هذا لي؟ فيقول الله له: تمن فيتمنى و يذكره الله عز و جل سل من كذا و كذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك و عشرة أمثاله ثم يدخله الله الجنة فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا و أحيانا لك فيقول : ما أعطي أحد مثل ما أعطيت و أدنى أهل النار عذابا ينعل من نار بنعلين يغلي دماغه من حرارة نعليه) ([٢٦٤]).

[٢٦٤] – أخرجه أحمد (٣/٢٧ ، رقم ١١٢٣٢) ، ومسلم (١/١٧٥ ، رقم ١٨٨) .

الصفة الثانية

عشر: مضان شهر الانتصارات

أمة العزة والإباء رمضان شهر انتصارات المسلمين في معاركهم الحاسمة وذلك على مدار التاريخ فغزوة بدر كانت في رمضان وفتح مكة كان في رمضان وعين جالوت كانت في رمضان وغيرها من المعارك الحاسمة ونحن في هذا الشهر وفي ذكرى تلك المعارك الفاصلة العظيمة أو أن أقف بكم مع السبب الأساسي للنصر وليس أي نصر إنه نصر أمة الإسلام

الناصر هو الله: إن الله سبحانه وهو الناصر والنصير لأوليائه وأهل طاعته ومنه يستجلب النصر قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ.}

وَمِنْهَا النَّصِيرُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}

فهو الذي يدافع عن أهل طاعته وحملة رسالته قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: ٣٨]

يقول السعدي رحمه الله–" هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر –بسبب إيمانهم–من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر". ([٢٦٥])

مجالات النصر في رمضان

أخي المسلم: أما مجالات النصر في رمضان فهي عديدة يرفع فيها الصائم راية النصر فيها كلها وهاك بيانها:

المجال الأول الانتصار على النفس

---

[٢٦٥] – تفسير السعدي (ص: ٥٣٩)

أول المجالات وأعظمها ولا تحقق المجالات الأخرى بدونه ألا وهو مجال الانتصار على النفس لأن النفس هي الميدان الأول للمجاهدة وقد أخبرنا الله تعالى بخطورة النفس وأنها أمارة بالسوء فقال الله تعالى {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣]

فالصائم قد الجم نفسه بلجام التقوى وساقها بسوط الخوف من الله تعالى والزمها طريق الاستقامة فالنفس التي كانت تحدثه بالعصية قد كُبح جماحها و اطمئنة لأمر ربها فلا تراها إلا خاشعة وجلة يحدوها الأمل في الرضا و الفوز بالجنة فهي كما نراها في أحوال الصائمين مسارعة للخيرات مواظبة على الجمع و الجماعات وتاركة للمحرمات،

يقول سُفْيان الثوري –رحمه الله تعالى –: "ما عَالَجْتُ شيئًا أشد عليَّ من نفسي: مرة لي؛ ومرة علي"([٢٦٦])

وكان عمر –رضي الله عنه –يُخَاطِب نفسه، ويَقْهَرها حتى لا تَجْمح به، فتُخْرِجه عن الجادَّة. دخل –رضي الله عنه –حائطًا فبدأ يُخَاطِب نفسه ويحاسبها، قال أنس –رضي الله عنه –: فسمعته يقول: "عمر بن الخطاب أمير المؤمنِينَ، بَخٍ بَخٍ، واللهِ يا ابن الخطاب لتَتَّقِيَنَّ الله، أو ليُعَذِّبَنَّك"([٢٦٧])

إن الإنسانَ قد يُجَاهِد غيره؛ لكنه يَنْسَى نفسه التي تحتاج إلى جِهَاده، فيَذَرُها تركب هواها، وتنالُ مطلوبها، ولا يَحْسب أنها تحتاج إلى مجاهدة؛ بل قد يُنْكِر ذلك، ويرى أنه على أحسن حال، أو على الأقل ليس أَسْوَأَ الناسِ، وهذا يُقْعِدُه عن المجاهدة، فيسير في الرَّدى، ويُوشِك أن يهلك. وفي هذا المعنى قال علي –رضي الله عنه –: "أولُ ما تُنكِرُون من جِهادِكُم أنفُسُكم"([٢٦٨])

ولما سأل رَجُلٌ عبدَالله بن عمر –رضي الله عنهما –عن الجِهَاد قال –رضي الله عنه –: "ابْدَأْ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغْزها"([٢٦٩])

ويقول أيضًا: "عالَجْتُ كل شيء؛ فما عَالَجْتُ أصعب من مُعَالَجَة نفسي، وما شيء أهون عليَّ منها"([٢٧٠])

---

[٢٦٦] – [الحلية ٧/٥ – ٦٢].

[٢٦٧] – [الموطأ ٩٩٢/٢].

[٢٦٨] – [جامع العلوم والحكم ١٩٦/١].

[٢٦٩] – [جامع العلوم والحكم ١٩٦/١].

[٢٧٠] – [الحلية: ٣٦/١٠، وصفة الصفوة ١٠٧/٤].

الميدان الثاني: الانتصار على الشيطان

ومن أروع الانتصارات انتصار الصائم على عدوه اللدود الذي لا يتوانى في إغرائه وإيقاعه في المعصية وقد أعلنها منذ اللحظة الأولى فقال {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [ص: ٨٢، ٨٣]

وها هو قد قعد لك بالمرصاد على شتى الطرق عن سَبْرَة بن أبي فَاكِه –رضي الله عنه –قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم –يقول: ((إن الشيطانَ يقعد لابن آدم بأَطْرُقِه، قعد في طريق الإسلام، فقال: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دينك ودين آبائك، وآباء آبائك؟ فعَصَاه وأسْلَم، وقعد له بطريق الهِجْرة، فقال: تُهَاجِر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مَثَلُ المُهاجِر؛ كمثل الفَرس في الطِّوَل، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجِهَاد، فقال: تُجَاهِد؟ فهو جَهْدُ النفس والمال، فتُقاتل فتُقْتَل؛ فتُنْكَحُ المرأةُ، ويُقْسَم المال؟! فعصاه فجاهد))، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: ((فمَنْ فَعَل ذلك كان حقًّا على الله أن يُدْخِلَه الجنة، وإن غَرِق كان حقًّا على اللهِ أن يُدْخِلَه الجنة، أو وقَصَتْهُ دابته كان حقًّا على الله أن يُدْخِلَهُ الجنة))([٢٧١])

ومن فضل الله تعالى ومنه على عباده الصائمين أن سلسل مردة الشياطين في شهر رمضان لتسهل عليهم المجاهدة والطاعة فمن كان يزن له الشيطان سماع الغناء قد تركه واقبل على القران ومن كان يزين له الشيطان النظر إلى المحرمات غض بصره وحصن فرجه فخنس الشيطان واندحر وانتصر بذلك المسلم

الميدان الثالث: الانتصار على العادات

أما الميدان الثالث فهو ميدان العادات والتقاليد التي تعود عليه المسلم في غير رمضان فثار المسلم ثورته على كل عادة سيئة فابدلها بطاعة حسنة مقربه

فتأمل لمن تعود التدخين وشرب الشيشة تلك العادات المحرمة التي يهلك الإنسان فيها نفسه ويضيع ماله كيف انتصر عليها وصبر على البعد عنها أليس ذلك انتصارا للصائم على عادته؟

إنها الإرادة القوية والعزيمة الصلبة

---

[٢٧١] – رواه أحمد ٤٨٣/٣، والنسائي ٢١/٦، وصححه ابن حبان ٤٥٩٣.

الانتصارات على الكفرة والمشركين

الميدان الأخير و هو مترتب على الميادين الثلاثة سالفة الذكر هو الانتصار على الكفرة و المشركين، و هو نتيجة حتمية لما مضى ذكره و هذا ما قرره الله تعالى في كتابه بقوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } [محمد: ٧]

يقول سيد قطب – رحمه الله–

وكيف ينصر المؤمنون الله، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت؟

إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئاً، شركاً ظاهراً أو خفياً، وألا تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها ، ونشاطها كله وخلجاتها . . فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

وإن لله شريعة ومنهاجاً للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة. ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة.

ثم يقول: فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان، وبين الحق والضلال. فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة. للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر. وفي عدم التراخي بعده والتهاون. وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء. ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء. وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر. ولعل هذا هو ما تشير إليه عبارة القرآن. والعلم لله.

وإن الناظر في تاريخ امتنا المجيدة ليرى أن شهر رمضان هو شهر الانتصارات التي غيرت مجرى التاريخ

أول حلقة في سلسلة الانتصارات الرمضانية، وأول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين، معركة الفرقان بين الحق والباطل، هي غزوة بدر الكبرى، التي وقعت بالقرب من ماء بدر، صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان ٢هـ (١٣ مارس ٦٢٤م). ورغم قلة عدد المسلمين مقابل المشركين، فقد كان النصر حليفًا لهم،

وخرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم. وقد قال الله تعالى في شأنها: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (آل عمران: ١٢٣).

وفي رمضان كان الفتح الأعظم لاعظم بقعة خلقها الله تعالى على يدي اعظم مخلوق و افضل موجود – صلى الله عليه وسلم– كان فتح مكة ،فبعد ستة أعوام من الحلقة الرمضانية الأولى، والانتصار الرمضاني الأول، كانت الحلقة الثانية، وهي فتح مكة، بقيادة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ، فبعد أن غدرت قريش ونكثت العهد الذي أبرمته في صلح الحديبية بمساعدتها قبيلة بكر على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين كان لابد من نجدة خزاعة وإذلال الشرك والمشركين في العام الذي سُمي بعام الفتح.

وصار النبي –صلى الله عليه وسلم– على رأس جيش المسلمين إلى مكة، وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل من المسلمين، وقسم الرسول ص المسلمين إلى فرق، ورسم لكل فرقة خطة دخول مكة، ولم يلق جيش المسلمين أي مقاومة، ونجح في الاستيلاء عليها دون قتال يُذكر في ٢٠ رمضان ٨هـ (١١ يناير٦٣٠م)، ودخل الرسول الكريم ص مكة منتصرا ومطهرا لبيت الله الحرام من الأوثان، ورفع بلال من فوق الكعبة نداء الحق: الله أكبر...، وتم بذلك تطهير مكة من الأصنام، وتم القضاء على الوثنية وأعلنت فيها وحدانية الله، وأعز الله دينه ورسوله وجنده، وأنقذ بلده الأمين، وطهر بيته الحرام، الذي جعله هدى للعالمين، من دنس الكفار والمشركين، وكان هذا الفتح تتويجاً لجهود النبي ص في الدعوة، وإيذانًا بسيادة الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وارتفاع كلمة الحق والإيمان، ونزل فيه قول الحق عز وجل {إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (النصر: ١–٣).

وفي ٨ رمضان ٩هـ (١٨ ديسمبر ٦٣٠م) كانت غزوة تبوك أو العسرة على حدود الأراضي البيزنطية، وهناك أعلنت القبائل العربية خضوعها للمسلمين، واكتفى الرسول الخاتم ص بذلك، ولم يتوغل المسلمون في أراضي الدولة البيزنطية، وقد ترتب على هذه الموقعة اتساع رقعة الدولة الإسلامية لدرجة أنها عمت كل أرجاء بلاد العرب.

أما أبرز المعارك التي انتصر فيها المسلمون إبان عصر الخلفاء الراشدين، فهي معركة القادسية، على الضفة الغربية لنهر الفرات، التي وقعت في شعبان واستمرت إلى رمضان ١٦هـ (٦٣٧م) بين المسلمين

والفرس، وكان قائد المسلمين الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وبلغ جيش المسلمين فيها نحو عشرة آلاف، وكان قائد الفرس رستم ذا الحاجب، ويتكون جيشه من مائة وعشرين ألف مقاتل، وقد مات المثنى بن حارثة الذي جرح في موقعة الجسر قبل المعركة، ومن الصحابة الذين كانوا يساعدون سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن خويلد، الذي كان قد ادَّعى النبوة ثم تاب وأناب، وقبيل المعركة تم الاتصال بين المسلمين والفرس بُغية الوصول إلى اتفاق يمنع الحرب، ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة، فقامت المعركة، وهي من المعارك المهمة في تاريخ الصراع بين المسلمين والفرس، فرَّ فيها رستم وعشرات الآلاف من جنوده إلى المدائن عاصمة الساسانيين، وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة.

وفي ٩ رمضان ٢١٢هـ (١ ديسمبر ٨٢٧م) فتح المسلمون صقلية على يد القائد زياد بن الأغلب، حيث نزل المسلمون على شواطئها واستولوا عليها لينشروا الإسلام بها.

ثم كانت المعركة التي أنقذت الإسلام والمسلمين، المعركة التي قامت أمة الإسلام بعدها من غفلتها واختلافها، وقامت تحت قيادة واحدة، هذه المعركة هي معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ (٣ سبتمبر ١٢٦٠م) واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

وفي ٤ رمضان ٩٢٧هـ (٨ أغسطس سنة ١٥٢١م)، فتح السلطان العثماني مدينة بلجراد، التي تعد مفتاح أوروبا الوسطى، وعقبة في طريق التقدم العثماني إلى قلب أوروبا: فيينا وبودابست والقسطنطينية، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصرها العثمانيون ثلاث مرات: ١٤٤١ و١٤٥٦ و١٤٩٢م، ولم يتمكنوا من فتحها إلا في عهد السلطان سليمان القانوني، وبعدها تدفق العثمانيون إلى أوروبا كالسيل الجارف.

وفي ١٠ رمضان ١٣٦٣هـ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م)، عبر الجيش المصري قناة السويس وحطم خط بارليف وألحق الهزيمة بالقوات الصهيونية، في يوم من أيام العرب الخالدة التي سطرها التاريخ في أنصع صفحاته بأحرف من نور؛ ففي هذا اليوم وقف التاريخ يسجل مواقف أبطال حرب أكتوبر الذين تدفقوا كالسيل العرم يستردون أرضهم، ويستعيدون كرامتهم ومجدهم؛ فهم الذين دافعوا عن أرضهم وكافحوا

في سبيل تطهيرها وإعزازها، فضربوا بدمائهم وحفظوا لأنفسهم ذكرًا حسنًا لا ينقطع، وأثرًا مجيدًا لا يمحى، هؤلاء الأبطال الذين خشعت لذكرهم الأصوات، وأجمعت على فضلهم القلوب، لأنهم قضوا نحبهم لحفظ مجد مغتصب، ولطلب حق مسلوب، ذلك اليوم المجيد من أيام التجلي الأعظم، وقف الله فيه مع جنوده المخلصين يشد أزرهم، ويقوي عزائمهم، ويثبت أقدامهم، ويرد كيد عدوهم، ويقذف فيه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

الصفة الثالثة عشر

رمضان شهر الرحمة

اعلم –علمني الله وإياك –: أن من صفات شهر رمضان أنه شهر الرحمة ويا لها من صفة قد انصبغ ذلك الشهر بها فهي رحمة عامة ورحمة شاملة رحمة.... فهيا لنتعرف على هذه الصفة عن كثب

إن من السمات التي يتصف بها ديننا الحنيف " الرحمة "، فالرحمة ظل وارف على كافة مبادئ الإسلام وتشريعاته وتعاليمه.

والرحمة صبغة ظاهرة في القرآن الكريم تتجلى في أحكامه وتوجيهاته كما تتجلى في لفظه وبيانه.

لقد أنزل الله كتابه العظيم هداية ورحمة للمؤمنين ، قال تعالى : {الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ} [لقمان: ١ – ٣] وقال سبحانه : {وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل: ٧٧]، وقال سبحانه : " {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]. فالقرآن كتاب رحمة كما هو كتاب هداية للناس.

الرحمة لغةً: الرقّة، والتّعطّف، والرأفة، وما تقع به الرحمة كالغيث، والمطر، والرحمة اصطلاحاً: إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفس المعطي، وهي من صفات الله تعالى من محبته لعباده، قال تعالى: (مّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِن رّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [فاطر: ٢].

دلائل رحمة الله في آيات الصيام

و هيا لنتعرف على مظاهر الرحمة في آيات الصيام يقول الله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) } [البقرة: ١٨٣ – ١٨٦]

أولا: أن الله تعالى افترضه علينا كما افترضه على الأمم من قبلنا: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ }و في ذلك تسلية للمسلم أن هذا الأمر ليس فيه بأوحد بل قد فرض على الأمم السالفة أيضا

يقول الفخر الرازي – رحمه الله–يعني هذه العبادة كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم، ما أخلى الله أمة من إيجابها عليهم لا يفرضها عليكم وحدكم وفائدة هذا الكلام أن الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق إذا عم سهل تحمله. ([٢٧٢])

يقول ابن عاشور – رحمه الله–

والغرض الثاني أن في التشبيه بالسابقين تهوينا على المكلفين بهذه العبادة أن يستثقلوا هذا الصوم فإن في الاقتداء بالغير أسوة في المصاعب، فهذه فائدة لمن قد يستعظم الصوم من المشركين فيمنعه وجوده في الإسلام من الإيمان ولمن يستثقله من قريبي العهد بالإسلام، وقد أكد هذا المعنى الضمني قوله بعده: أياما معدودات. ([٢٧٣])

ثانيا: أن الله تعالى ما افترضه علينا طوال العام أو اشهرا عديدة بل افترضه علينا أياما معدودات تعد عدا و في ذلك تخفيفا على الأمة و رحمة بهم { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ}

قال ابن كثير: بين الله مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس، فتضعف عن حمله وأدائه، بل أياما معدودات " ثم ذكر أن الصيام كان في أول الإسلام أياما معدودات من كل شهر ثم نسخ بصيام شهر رمضان ([٢٧٤])

ثالثا: أن الله تعالى أسقطه عن المرضى والمسافرين وأصحاب الأعذار رحمة ورأفة بهم

قال تعالى {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}

---

[٢٧٢] – تفسير الفخر الرازي (ص: ٧٦٠)

[٢٧٣] – التحرير والتنوير (٢/ ١٥٧)

[٢٧٤] – تفسير ابن كثير–ط دار طيبة (١/ ٤٩٧)

إبقاء على رخصة الفطر للمريض والمسافر، مع قضاء ذلك الصوم في أيام أخر بعد زوال العذر. وقد تكرر ذكر هذا الحكم لئلا يتوهم نسخه بعد فرض الصوم ورفع الرخصة بالفطر والإطعام.

فالمرض والسفر يصيب المسلم بالمشقة والله تعالى رفع عن هذه الأمة الحرج والأغلال التي كانت على الأمم السابقة قال تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ} [الحج: ٧٨]

فمن كان مريضا ولا يستطيع الصوم لمرض عارض فان الله تعالى رحمة به شرع ورخص له الفطر ثم القضاء بعد أن يعافيه الله تعالى

أما إن كان مريضا مرضا مزمنا دائما فالله تعالى أسقط عنه الصوم وشرع له الفدية

والسفر قطة من العذاب فهو يجلب المشقة على المسافر فاذا كان المسلم مسافرا لحاجة فان الله تعالى خفف عنه وشرع له الصوم

وكذلك الشيخ الكبير أسقط عنه الصوم رحمة به وأوجب عليه الفدية

رابعا بين سبحانه تعالى لنا سعة رحمته بعباده الصائمين فقال سبحانه { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }

تقرير لقاعدة شرعية عامة كلها رحمة ورأفة ولطف؛ فالله عز وجل يريد التيسير والتخفيف على العباد في كل ما يشرعه ويأمر به وإن كان ظاهر بعض العبادات غير ذلك أحيانا. ومن غاية الرحمة واللطف أن تأتي هذه القاعدة الشرعية العامة في ثنايا أحكام الصيام فهي تضفي على الآيات ظلال المودة ونسمات الأنس بمحبة الله اللطيف الرؤوف بعباده المؤمنين. إذ إن هذه القاعدة تنفي كل ما قد يخامر القلب من إحساس بثقل هذه العبادة التي كلف بها. وتزرع الثقة بأن كل أحكام الله يسر ومرحمة، وأن الله سبحانه لا يشرع ما فيه العسر والمشقة على العباد، كيف يكون ذلك وهو أرحم الراحمين ؟!

قال ابن سعدي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله. وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهَّله تسهيلا آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات.

هذه القاعدة الربانية من أعظم دلائل رحمة الله. وكونها في ثنايا آيات الصيام دليل آخر على رحمته سبحانه.

خامسا : إباحة الأكل و الجماع ليلا : و من كمال الرحمة الربانية انه سبحانه وهو العليم الخبير الذي يعلم مدى ضعف الإنسان و عدم صبره عن البعد عن شهوته الحلال فشرع لهم سبحانه الليل ليقضوا فيه رغبتهم و يحفظوا فيه أبصارهم و لا يختانوا أنفسهم{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٧]

يمتن الله على عباده برحمته لهم ورأفته بهم ، حيث تاب عليهم وعفا عنهم فيما وقع منهم من مخالفة شرعية في عهد التشريع الأول . فقد وقع بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في ذلك حين جامع بعضهم زوجته بعد نوم أو بعد العشاء. فصارحهم ربهم بما وقع منهم وبادرهم بالتوبة والعفو.

هذه بعض شواهد الرحمة الربانية التي تبينت لي في آيات الصيام في سورة البقرة، رحمة في الأحكام والتشريعات، ورحمة في الألفاظ والصيغ. ورحمة في المعاني والإيحاءات. تعاقبت في الآيات فظللتها بظلال من المودة واللطف والرأفة.

والمؤمن الذي يستشعر هذه الرحمة في وجدانه يخف عنده الإحساس بمشقة الصيام وتعبه. بل يحب هذه العبادة وتسعد روحه بظمأ الهواجر وتضور البطون. لأنه يتفيأ فيها رحمة الله البر الكريم الرؤوف الرحيم.

الصفة الرابعة عشر

رمضان شهر الاعتكاف

أخي السلم ...أختي المسلمة: إن من صفات شهر رمضان أنه شهر الاعتكاف فالاعتكاف فيه له فضيلة ليست لغيره من الشهور والأيام فهو من سنن سيد الأنام–صلى الله عليه وسلم–التي واظب عليها وما تركها صلى الله عليه وسلم

فيها لنتعرف على تلك الصفة وعلى طرف من أحكامها وآدابها

أولا: تعريف الاعتكاف

هو لزوم المسجد بنية مخصوصة، لطاعة الله تعالى: وهو مشروع مستحب باتفاق أهل العلم

فالاعتكاف في الشرع: لزم مسجد لعبادة الله تعالى من شخص مخصوص على صفة مخصوصة.

قال شيخ الإسلام: "لو قيل: لعبادة الله تعالى كان أحسن –أي بدلاً من طاعة الله تعالى –فإن الطاعة موافقة الأمر، وهذا يكون بما هو في الأصل عبادة كالصلاة، وبما هو في الأصل غير عبادة، وإنما يصير عبادة بالنية، كالمباحات كلها بخلاف العبادة فإنها التذلل للإله سبحانه وتعالى"([٢٧٥]).

وقال شيخ الإسلام: "ولما كان المرء لا يلزم ويواظب إلا من يحبه ويعظمه، كما كان المشركون يعكفون على أصنامهم وتماثيلهم، ويعكف أهل الشهوات على شهواتهم شرع الله لأهل الإيمان أن يعكفوا على ربهم سبحانه وتعالى.

وأخص البقاع بذكر اسمه سبحانه والعبادة له بيوته المبنية لذلك، فلذلك كان الاعتكاف لزوم المسجد لطاعة الله" ([٢٧٦]).

تاريخ الاعتكاف

---

[٢٧٥] – شرح العمدة ٢/٧٠٨.

[٢٧٦] – شرح العمدة ٢/٧٠٨.

والاعتكاف من الشرائع القديمة، كما قال تعالى: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة: ١٢٥].

وقال تعالى: {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧]

وقال تعالى: {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ} [آل عمران: ٣٧]

قال شيخ الإسلام: "ولأن مريم عليها السلام قد أخبر الله سبحانه أنها جعلت محررة له، وكانت مقيمة في المسجد الأقصى في المحراب، وأنها انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً، وهذا اعتكاف في المسجد واحتجاب فيه". ([٢٧٧])

ولحديث ابن عمر (في نذر عمر أن يعتكف ليلة في الجاهلية، فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–(: "أوف بنذرك". ([٢٧٨]).

بيان حكمته

أما حكمة شرعية الاعتكاف فبينها ابن القيم رحمه الله بقوله: "لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفاً على جمعيته على الله، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القل لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثاً، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، أو يعوقه ويوقفه: اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحدث سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنه

---

[٢٧٧] – شرح العمدة ٢/٧٤٨.

[٢٧٨] – أخرجه البخاري، في الاعتكاف، باب الاعتكاف ليلاً (ح٢٠٣٢)، ومسلم، في الأيمان، باب نذر الكافر (ح١٦٥٦).

به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم" ([٢٧٩]).

والحكمة من تخصيصه العشر الأواخر من رمضان، فقد بينها التماس ليلة القدر، كما في حديث أبي سعيد الخدري (، أن النبي (: "اعتكف الشعر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه، فقال: إني أعتكف العشر الأول ألتمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل: إنها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف فاعتكف الناس معه...". ([٢٨٠]).

ويمكن أن نجمل أهداف ومقاصد الاعتكاف في النقاط التالية:

– تحري ليلة القدر.

– الخلوة بالله عز وجل، والانقطاع عن الناس ما أمكن حتى يتم أنسه بالله عز وجل وذكره.

– إصلاح القلب، ولم شعثه بإقبال على الله تبارك وتعالى بكليته.

– الانقطاع التام إلى العبادة الصرفة من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن.

– حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس والشهوات.

– التقلل من المباح من الأمور الدنيوية، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها.

أدلة مشروعية لاعتكاف الكتاب والسنة وآثار الصحابة والإجماع.

أولا من الكتاب: اعلم بارك الله فيك: أن القران الكريم قد دل على مشروعية الاعتكاف فالله تعالى امر إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام – بتطهير البيت الحرام وبين من بين تلك الأسباب الاعتكاف قال تعالى: (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ((سورة البقرة: آية ١٢٥.).

---

[٢٧٩] – زاد المعاد ٢/٨٦–٨٧. وانظر: الفتاوى الهندية ١/٢١٢، والشرح الصغير للدردير ١/٢٥٩، وسبل السلام ٢/١٧٤.

[٢٨٠] – أخرجه البخاري، في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر (ح٢٠١٨)، ومسلم –واللفظ له –في الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٦٧) (٢١٥).

وقوله تعالى: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ((سورة البقرة: آية ١٨٧.).

فإضافة الاعتكاف إلى المساجد المختصة بالقربات، وترك الوطء المباح لأجله دليل على أنه قربة.

أدلة مشروعيته من السنة المطهرة

أما السنة فقد دلت على مشروعيته فقد كان صفوت البشرية — صلى الله عليه وسلم–يعتكف ويحض أصحابه على الاعتكاف

فكثيرة؛ منها: حديث عائشة (قالت: "كان رسول الله (يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده". ([٢٨١]).

وأما الإجماع:

قال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً إلا أن يوجبه المرء على نفسه نذراً فيجب عليه". ([٢٨٢]).

ولم يرد في فضل الاعتكاف شيء من الأحاديث الثابتة عن النبي (قال أبو داود في مسائله: "قلت لأحمد تعرف في فضل الاعتكاف شيئاً؟ قال: لا، إلا شيئاً ضعيفاً"(٥٤).

وقد روى ابن عباس (أن رسول الله (قال في المعتكف: "هو الذي يعكف الذنوب ويجرى له من الحسنات كعامل الحسنات كلها". ([٢٨٣]).

وروى أبو الدرداء مرفوعاً: "من اعتكف ليلة كان له كأجره عمرة، ومن اعتكف ليلتين كان له كأجر عمرتين."، ([٢٨٤]).

هديه صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف:

وهديه صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف كان أكمل هدي، وأيسره، فكان إذا أراد أن يعتكف وُضع له سريره وفراشه في مسجده صلى الله عليه وسلم، وبالتحديد وراء أسطوانة التوبة كما جاء في الحديث عن

---

[٢٨١] – أخرجه البخاري في الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر (ح٢٠٢٦)، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر (ح١١٧٢).

[٢٨٢] – الإجماع ص٥٣.

[٢٨٣] – أخرجه ابن ماجه في الاعتكاف، باب في ثواب الاعتكاف (ح١٧٨١)،

[٢٨٤] – عزاه شيخ الإسلام في شرح العمدة ٧١٢/٢ إسحاق بن راهويه.

نافع عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّهُ كَانَ إِذَا اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ، أَوْ يُوضَعُ لَهُ سَرِيرُهُ وَرَاءَ أُسْطُوَانَةِ التَّوْبَةِ» ([٢٨٥])

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب له خباء مثل هيئة الخيمة ، فيمكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية ، وكان ذلك في المسجد ، ومن المتوقع أن يضرب ذلك الخباء على فراشه أو سريره ، وذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء، فيصلي الصبح، ثم يدخله؛ فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها فضربت خباء؛ فلما رأته زينب ابنة جحش ضربت خباء آخر؛ رأى الأخبية فقال ما هذا فأخبر فقال النبي ؟ آلبر (آلبر) ترون (تردن) بهن فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرا من شوال) ([٢٨٦])

وكان دائم المكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان، من بول أو غائط ، وذلك للحديث فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف أدنى إلي رأسه وهو في المسجد فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان " ([٢٨٧])

وكان صلى الله عليه وسلم يؤتي إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه كما أراد ذلك سالم بقوله : (أما طعامه وشرابه فكان يؤتى به إليه في معتكفه)

وكان صلى الله عليه وسلم يحافظ على نظافته ، إذْ كان يخرج رأسه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لكي ترجّل له شعر رأسه ، ففي الحديث عن عروة عنها رضي الله عنها (أنها كانت ترجّل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض ، وهو معتكف في المسجد ، وهي في حجرتها ، يناولها رأسه) رواه البخاري ٨٠٧/٤ فتح الباري ز

قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز التنظيف والتطيب والغسل والحلق والتزين إلحاقاً بالترجل ، والجمهور على أنه لا يكره فيه إلا ما يكره في المسجد)([٢٨٨])

---

[٢٨٥] – ابن ماجة (١٧٧٤). قال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) ٢/ ٨٤: هذا إسناد صحيح رجاله موثقون. وضعفه الألباني، كما في ((صحيح ابن خزيمة)) ٣/ ٣٥٠ (٢٢٣٦).

[٢٨٦] – أخرجه البخاري في: ٣٣ كتاب الاعتكاف: ٦ باب اعتكاف النساء

[٢٨٧] – رواه البخاري ٤/ ٨٠٨ فتح الباري.

[٢٨٨] –فتح الباري ٨٠٧/٤

وكان صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، وذلك من أجل التركيز والانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل، ففي الحديث عن عائشة أنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ بالمريض وهو معتكف، فيمرّ كما هو ولا يُعرِّج يسأل عنه)([٢٨٩]) وأيضا عن عروة أنها قالت : (السنّة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس امرأة ، ولا يباشرها ، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع) ([٢٩٠])

وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم يزرْنه في معتكفه ، وحدث أنه خرج ليوصل إحداهن إلى منزلها ، وكان ذلك لحاجة إذ كان الوقت ليلاً ، وذلك كما جاء في الحديث علي بن الحسين – رضي الله عنهما – أنَّ صَفِيَّةَ زَوجَ النبي – صلى الله عليه وسلم – – ورضي الله عنها – قالت : كان النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – معتكفًا ، فأتيتُه أزُورُه لَيلاً ، فحدَّثتُهُ ثم قُمْتُ لأنْقَلِبَ ، فقام معي ليقْلِبَني ، وكان مَسكنُها في دارِ أسامَةَ بن زيدٍ ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلمَّا رأيا النبي – صلى الله عليه وسلم – أسرعا ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «على رِسْلِكُما ، إنَّها صفيةُ بنتُ حُيَيّ» فقالا : سُبْحان الله ، فقال : «إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدمِ ، وإني خشيتُ أن يَقْذِفَ في قلوبكما شرًا»([٢٩١]).

فرأى صلى الله عليه وسلم أن خروجه معها رضي الله عنها أمر لا بد منه في ذلك الليل، فخرج معها من معتكفه، ليوصلها إلى بيتها.

وخلاصة القول: أن هديه صلى الله عليه وسلم في اعتكاف كان يتسم بالاجتهاد، فقد كان جل وقته مكث في المسجد، وإقبال على طاعة الله عز وجل، وترقب لليلة القدر.

أركان الاعتكاف:

النية: لحديث عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، يقول : ((إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله

---

[٢٨٩] – سنن أبي داود (٢/ ٣١٠) وقال الألباني: ضعيف

[٢٩٠] – رواه أبو داود/ ٣٣٣/٢.

[٢٩١] – أخرجه: البخاري ٦٤/٣ (٢٠٣٥)، ومسلم ٨/٧ (٢١٧٥) (٢٤) .

ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه))([٢٩٢])

المكث في المسجد: كما في قوله تعالى {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة: ١٢٥] وفي هذا تأكيد على أن مكان الاعتكاف هو المسجد، ودلّ على ذلك أيضاً فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده أزواجه وصحابته رضوان الله عليهم، ففي الحديث عن يونس بن زيد أن نافعاً حدثه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان ([٢٩٣])

قال الإمام الدهلوي – رحمه الله– ولما كان الاعتكاف في المسجد سببا لجمع الخاطر وصفاء القلب والتفرغ للطاعة والتشبه بالملائكة والتعرض لوجدان ليلة القدر اختاره النبي صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر وسنه للمحسنين من أمته ، قالت عائشة رضي الله عنها : السنة على المعتكف ألا يعود مريضا ، ولا يشهد جنازة ولا يمس المرأة ، ولا يباشرها ، ولا يخرج إلا لحاجة إلا ما لا بد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع أقول وذلك تحقيقا لمعنى الاعتكاف ، وليكون الطاعة لها بال ومشقة على النفس ومخالفة للعادة ، والله أعلم . ([٢٩٤])

قال نافع: وقد أراني عبد الله رضي الله عنه المكان الذي يعتكف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد) ([٢٩٥])

مكانه وزمانه وبداية وقته:

مكان الاعتكاف المسجد كما دلت عليه الآية في قوله تعالى: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة: ١٨٧] ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحابته رضوان الله عليهم اعتكفوا في المساجد، ولم يرد عن أحد منهم أنه اعتكف في غير المسجد.

وأما بالنسبة لزمانه فإذا كان في رمضان فآكد وقته العشر الأواخر منه، ويجوز في أي وقت في رمضان وغيره، فهو لا يختص بزمن معيّن ، بل مستحب في جميع الأوقات ، ويجب إذا ألزم نفسه بنذر ،

---

[٢٩٢] – أخرجه: البخاري ٢/١ (١) ، ومسلم ٤٨/٦ (١٩٠٧)

[٢٩٣] – أحمد (٩٢/٦) . والبخاري (٦٢/٣)

[٢٩٤] - حجة الله البالغة (ص: ٥٣٤)

[٢٩٥] – أخرجه مسلم ٣٠٨/٨.

كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام . قال : (أوف بنذرك) ([٢٩٦])

وأما بالنسبة لبداية وقته فقبل غروب الشمس لمن أراد أن يعتكف يوماً وليلة أو أكثر وقال بعض العلماء يدخل معتكفه فجرا.

آداب الاعتكاف

للاعتكاف آداب يستحب للمعتكف أن يأخذ بها حتى يكون اعتكافه مقبولاً وكلما حافظ عليها المعتكف كان له الأجر الجزيل من رب العالمين وكلما أخل بهذه الآداب نقص أجره .

ومن آداب الاعتكاف ما ذكره ابن قدامة في المغني:

يستحب للمعتكف التشاغل بالصلاة وتلاوة القرآن وبذكر الله تعالى ونحو ذلك من الطاعات المحضة ويجتنب مالا يعينه من الأقوال والفعال ولا يُكثر الكلام لأن من كثر كلامه كثر سقطه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ " ([٢٩٧])

ويجتنب الجدال والمراء والسباب والفحش فإن ذلك مكروه في غير الاعتكاف ففيه أولى ولا يبطل الاعتكاف بشي من ذلك ولا بأس بالكلام لحاجة ومحادثة غيره ([٢٩٨]).

وروى عبد الرزاق عن علي قال: من اعتكف فلا يرفث في الحديث ولا يساب ويشهد الجمعة والجنازة وليوص أهله إذا كانت له حاجة، وهو قائم ولا يجلس عندهم. ([٢٩٩])

وأما إقراء القرآن وتدريس العلم ودرسه ومناظرة الفقهاء ومجالستهم وكتابة الحديث فقد اُختلف فيه. فعند الإمام أحمد أنه لا يستحب ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فلم ينقل عنه الاشتغال بغير العبادات المختصة به.

---

[٢٩٦] – أخرجه أحمد (٢٠/٢) (٤٧٠٥) والبخاري (٦٣/٣)

[٢٩٧] – أخرجه الترمذي (٥٥٨/٤ رقم ٢٣١٧) وقال: غريب. وابن ماجه (١٣١٥/٢، رقم ٣٩٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٥/٤، رقم ٤٩٨٧). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٤٦٦/١، رقم ٢٢٩) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٩١١ في صحيح الجامع

[٢٩٨] – يستحب للمعتكف التشاغل بالصلاة

[٢٩٩] – مصنف عبد الرزاق (٤/ ٣٥٦)

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله إن رجلاً يُقرئ في المسجد وهو يريد أن يعتكف ولعله أن يختم في كل يوم فقال:

إذا فعل هذا كان لنفسه وإذا قعد في المسجد كان له ولغيره يقرئ أحب إلي. ([٣٠٠])

وذهب الشافعي كما في المغني: إلى استحباب لأنه أفضل العبادات ونفعه يتعدى.

والقول ما ذهب إليه الإمام أحمد وهو الأفضل والله أعلم.

[٣٠٠] – الشرح الكبير على متن المقنع (٦٨٢) (٣/ ١٥٠)

الصفة الخامسة عشر

رمضان شهر الزكاة

ومن صفات شهر رمضان أنه شهر الزكاة وهكذا سماه عثمان بن عفان رضي الله عنه ونهايته زكاة الفطر التي يشارك المسلمون فيها الإحساس بفرحة العيد، فلا يدع أحداً منهم إلا واساه، حتى فقرائهم يخرجون صدقة الفطر إن قدروا.

والزكاة في رمضان ليست زكاة أموال وإنما هي زكاة أبدان فهي قد شرعت لتطهير الصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وإليك بيان ذلك:

تعريف زكاة الفطر هي: الزكاة التي سببُها الفطر من رَمضان، وتُسمَّى أيضًا صدقة الفطر، وبكلا الاسمَيْن وردت النصوص.

وسُمِّيت صدقة الفطر بذلك لأنها عند الفطر عطيَّةٌ يُراد بها المثوبة من الله، فإعطاؤها لمستحقِّيها في وقتها عن طيب نفس يُظهِر صدقَ الرغبة في تلك المثوبة، وسُمِّيت زكاة لما في بذلها خالصةً لله من تزكية النفس وتطهيرها من أدرانها، وتنميتها للعمل، وجبرها لنقصه.

تاريخ مشروعيَّتها والدليل عليها:

أخي المسلم لقد فرضت زكاة الفطر في السنة الثانية من الهجرة؛ أي: مع رَمضان، وقد دَلَّ على مشروعيَّتها عمومُ القرآن، وصريحُ السُّنة الصحيحة، وإجماع المسلمين؛ قال -تعالى-: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾[الأعلى: ١٤]؛

قال عكرمة -رحمه الله -في الآية: "هو الرجل يقدِّم زكاته بين يدي -يعني: قبل -صلاته" ([٣٠١])

أي: العيد، وهكذا قال غيرُ واحدٍ من السَّلَف -رحمهم الله -في الآية هي زكاة الفطر.

ورُوِي ذلك مرفوعًا إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-عند ابن خزيمة وغيره، وقال مالك -رحمه الله -: هي -يعني: زكاة الفطر -داخلةٌ في عموم قوله -تعالى -: ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

---

[٣٠١] - تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢)

وثبَت في الصحيحين وغيرِهما من غيرِ وجهٍ: "فرَض رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر"([٣٠٢])

وأجمَعَ عليها المسلِمون قديمًا وحديثًا، وكان أهلُ المدينة لا يرَوْن صدقةً أفضل منها.

حكمها:

حكى ابن المنذر وغيرُه الإجماع على وجوبها، وقال إسحاق –رحمه الله –: "هو كالإجماع".

قلت: ويَكفِي في الدلالة على وجوبها مع القدرة في وقتها تعبيرُ الصحابة –رضِي الله عنْهم –بالفرض، كما صرَّح بذلك ابن عمر وابن عباس؛ قال ابن عمر –رضِي الله عنْهما –: "فرَض رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر..." الحديث، وبنحوه عبَّر غيرُه – رضِي الله عنْهم. ([٣٠٣])

حكمة مشروعيّتها:

اعلم علمني الله وإياك: أن زكاة الفطر شُرِعَتْ تَطهيرًا للنفس من أدرانها، من الشح وغيره من الأخلاق الرَّدِيئة، وتَكمِيلاً للأجر، وتنميةً للعمل الصالح، وتَطهيرًا للصيام ممَّا قد يُؤثِّر فيه ويُنقِص ثوابَه من اللغو والرفث ونحوهما، ومُواسَاة للفُقَراء والمساكين، وإغناءً لهم عن ذلِّ الحاجة والسؤال يوم العيد.

فعن ابن عباسٍ مرفوعًا: "فرَض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر طُهرَةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين" رواه أبو داود والحاكم وغيرُهما. ([٣٠٤])

* وفيها إظهارُ شكر نعمة الله –تعالى –على العبد بإتمام صيام شهر رَمضان وما يَسَّر من قيامه، وفعل ما تيسَّر من الأعمال الصالحة فيه.

* وفيها إشاعة المحبَّة والمودَّة بين فِئات المجتمع المسلم.

أمر الزكاة عظيم وأثرها الاجتماعي على الأمة المسلمة كبير، فهي وسيلة عملية فعالة في سد حاجة المحتاج وعلاج لمشكلة الفقر في المجتمع المسلم بشكل يكاد يكون جذريا، وبطريقة ميسرة كل التيسير في حين نرى عجز الأنظمة الأرضية التي وضعها المصلحون والمفكرون في شعوب العالم عن علاج هذه

---

[٣٠٢] – أخرجه مالك «الموطأ» (١٩٠). وأحمد (٦٣/٢) (٥٣٠٣). والدارمي (١٦٦٨. والبخاري (١٦١/٢) ومسلم (٦٨/٣)

[٣٠٣] – نبذة في زكاة الفطر (ص: ٢)

[٣٠٤] – أخرجه أبو داود (١١١/٢، رقم ١٦٠٩)، وابن ماجه (٥٨٥/١، رقم ١٨٢٧). وأخرجه أيضًا: الحاكم (٥٦٨/١، رقم ١٤٨٨) وقال: صحيح على شرط البخاري

المشكلة، كما عالجها الإسلام، وتحقق الأخوة الإيمانية الصادقة التي لا تتحقق عند غير المسلمين، وتظهر نظاما تكافليا ربانيا ليس له على وجه الأرض ند ولا نظير، حيث يعطف فيه الغني على الفقير، ويحترم الفقير الغني، وتبنى فيه العلاقة على أساس المودة والرحمة، ولا وجود فيه للأمراض الفتاكة كالحسد والبغض والكراهية، لأن كل واحد فيه أدى ما يجب عليه عن طواعية ورضا نفس " .

على مَن تجب الفطرة؟

ثم اعلموا عباد الله: زكاة الفطر زكاة بدن، فتجب على كلِّ مسلم ذكَرًا كان أو أنثى، حُرًّا كان أو عبدًا، وسواء كان من أهل المدن أو القرى أو البوادي، بإجماع مَن يُعتَدُّ بقوله من المسلمين.

ومن أدلَّة وجوبها حديثُ ابن عمر –رضِي الله عنْهما –قال: "فرَض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– زكاةَ الفطر صاعًا من تمرٍ أو صاعًا من شعير، على العبد والحرِّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمَر بها أنْ تُؤدَّى قبلَ خروج الناس إلى الصلاة"؛ متفق عليه. ([٣٠٥])

ونحو هذا الحديث ممَّا فيه التصريحُ بالفرض والأمر، وإنما تجب على الغني، وليس المقصود بالغنيِّ في هذا الباب الغني في باب زكاة الأموال، بل المقصود به في زكاة الفطر مَن فضل عنده صاعٌ أو أكثر يومَ العيد وليلته من قوته وقوت عياله، ومَن تجب عليه نفقَتُه.

أنواع الأطعمة التي تخرَجُ منها زكاة الفطر

ثبَت في الصحيح عن أبي سعيدٍ الخدري –رضِي الله عنه –قال: "كُنَّا نُعطِيها –يعني: صدقة الفطر –في زمان النبي –صلى الله عليه وسلم–صاعا من طعام، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من الزبيب))؛ ([٣٠٦]) متفق عليه

فالأفضل الاقتصارُ على هذه الأصناف المذكورة في الحديث ما دامَتْ موجودةً، ويُوجَد مَن يَقبَلُها ليَقتات بها، فيُخرِج أطيَبَها وأنفَعَها للفقراء؛ لما في البخاري أنَّ ابن عمر –رضِي الله عنْهما –كان يُعطِي التمر.

---

[٣٠٥] – سبق تخريجه

[٣٠٦] – أخرجه مالك في «الموطأ» (١٩١). وأحمد (٧٣/٣) الدارمي (١٦٧١). والبخاري (١٦١/٢). ومسلم (٦٩/٣)

وفي "الموطأ" عن نافع كان ابن عمر لا يُخرِج إلا التمر في زكاة الفطر، إلا مرَّة واحدة فإنَّه أخرج شعيرًا لَمَّا أعوز أهل المدينة من التمر –يعني: لم يوجد في المدينة –فأعطى شعيرًا"

وفي هذا تنبيهٌ على أنَّه ينبَغِي أن يُخرِج أطيبَ هذه الأصناف وأنفَعَها للفقراء والمساكين، ومذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور أنَّ البُرَّ أفضلُ ثم التمر؛ قال –تعالى –: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[آل عمران: ٩٢]، فإخراجها من أحد هذه الأصناف إذا وجد مَن يَقبَلُه ليَقتات به أفضل؛ لأنَّ فيه موافقةً للسُّنة واحتِياطًا للدين، فإن لم توجد فبقيَّة أقوات البلد سواها.

وذهَب بعضُ أهلِ العلم وهو قولُ مالكٍ والشافعي وأحمد وغيرهم إلى أنَّه يُجزِئ كلُّ حبٍّ وثمرٍ يُقتات، ولو لم تعدم الخمسة المذكورة في الحديث، وهو اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، واحتجَّ له بقوله –تعالى –:﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩]، وبقوله –صلى الله عليه وسلم–: ((صاعًا من طعام))، والطعام قد يكون بُرًّا أو شعيرًا، وقال: "هو قولُ أكثر العُلَماء، وأصحُّ الأقوال، فإنَّ الأصل في الصدقات أنها تجب على وجه المساواة للفقراء".

وقال ابن القيِّم –رحمه الله –: "وهو الصواب الذي لا يُقال بغيره؛ إذ المقصود سَدُّ خلَّة المساكين يومَ العيد، ومواساتهم من جنس ما يقتات أهل بلدهم؛ لقوله –صلى الله عليه وسلم–((أغنوهم في هذا اليوم عن الطواف)). ([٣٠٧])

المقدار الواجب في الفطرة:

ثبَت في الأحاديث الصحيحة أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– ((فرَض زكاةَ الفطر صاعًا))، والمراد به صاعُ النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو أربعة أمداد، والمدُّ ملء كفَّي الرجل المتوسِّط اليدين من البر الجيِّد ونحوه من الحبِّ، وهو كيلوان ونصف على وجه التقريب، وما زاد على القدر الواجب فهو من الصدقة العامَّة؛ وقد قال – تعالى –: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧].

بعد البحث وجدت أن صاع الأرز = ٢,٥ كيلو جرام تقريبًا، وبما أن الكيلة = ٦ صاع، إذن تكون كيلة الأرز = ٦ (صاع) × ٢,٥ (كيلو) = ١٥ كيلو جرام تقريبًا

[٣٠٧] – إعلام الموقعين (٣/ ١٢)

أي أن كيلة الأرز = ١٥ كيلو جرام، وهي أدق طريقة لحساب كيلة الأرز بالكيلو جرام و بذلك تكون الكيلة تكفي لستة أفراد

وقت إخراج الزكاة:

لإخراج زكاة الفطر وقتان: الأوَّل: وقتُ فضيلة، ويبدأ من غروب الشمس ليلةَ العيد إلى العيد، وأفضله ما بين صلاة الفجر وصلاة العيد؛ لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عمر –رضِي الله عنْهما –قال: "فرَض رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر..." الحديث، وفيه قال: وأمَر أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة"، وتَقدَّم تفسيرُ بعض السَّلَف لقوله –تعالى –:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾[الأعلى: ١٤ –١٥]، أنَّه الرجل يُقدِّم زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته.

الثاني: وقتُ إجزاء، وهو قبل العيد بيومٍ أو يومين؛ لما في "صحيح البخاري –رحمه الله" قال: "وكانوا " يعني: الصحابة –يعطون –أي: المساكين –قبلَ الفطر بيومٍ أو يومين))، فكان إجماعًا منهم. ([٣٠٨])

وفي حديث ابن عباس –رضِي الله عنْهما –: ((فمَن أدَّاها قبلَ الصلاة فهي زكاةٌ مقبولة، ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقةٌ من الصدقات))؛ رواه أبو داود وغيره. ([٣٠٩])

قال ابن القيِّم –رحمه الله ومقتضى هذين الحديثين: أنه لا يجوزُ تأخيرُها عن صلاة العيد، ([٣١٠])

وقال شيخ الإسلام: "إنْ أخَّرها بعد صلاة العيد فهي قضاء، ولا تَسقُط بخروج الوقت".

وقال غيرُه: اتَّفَق الفُقَهاء على أنها لا تَسقُط عمَّن وَجبَتْ عليه بتأخيرها، وهي دينٌ عليه حتى يُؤدِّيها، وأنَّ تَأخِيرها عن يوم العيد حرامٌ، ويَقضِيها آثِمًا إجماعًا إذا أخَّرَها عمدًا. ([٣١١])

*اختلف الحنفية في تعجيلها قبل وجود سببها الذي هو الفطر من رمضان، فقد روي عن أبي حنيفة أنه يجوز تعجيلها السنة والسنتين، وعن خلف أنه يجوز إخراجها من بداية رمضان، وفي قول آخر عنه أنه يجوز تعجيلها اليوم واليومين، وقال الحسن بن زياد: لا يجوز التعجيل مطلقا، لأنه أداء

---

[٣٠٨] – خرجه البخاري "٤٣٩/٣"، كتاب الزكاة: باب صدقة الفطر على الحر والمملوك، حديث "١٥١١".

[٣٠٩] – أخرجه أبو داود (١١١/٢، رقم ١٦٠٩) ، وابن ماجه (٥٨٥/١ ، رقم ١٨٢٧) . وأخرجه أيضًا: الحاكم (٥٦٨/١، رقم ١٤٨٨) وقال : صحيح على شرط البخاري .

[٣١٠] – زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢١)

[٣١١] – نبذة في زكاة الفطر (ص: ٥)

الواجب قبل وجوبه، وأن ذلك ممتنع كالأضحية قبل يوم النحر. وقال الكاساني بعد أن ذكر هذه الأقوال عن أعلام الحنفية: والصحيح أنه يجوز التعجيل مطلقا. وقال السرخسي: إن المذهب جواز التعجيل للسنة والسنتين

وأجاز المالكية والحنابلة تقديمها على سبب وجوبها بيوم أو يومين ، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يخرجها قبل يوم الفطر بيوم أو يومين

وقال الشافعية: إنه يجوز إخراجها من بداية رمضان، وقد علل النووي هذا القول بقوله: إنها تجب بسببين، وهما صوم رمضان والفطر منه، فإذا وجد أحدهما جاز تقديمها على الآخر، كزكاة المال قبل الحول، وبعد ملك النصاب، ولا يجوز تقديمها على رمضان، لأنه تقديم على السببين معا .

لِمَن تُعطَى صدقة الفطر؟

أما المستحقون لزكاة الفطر فقد بينهم النبي — صلى الله عليه وسلم–في حديث ابن عباس –رضِي الله عنْهما –قال: "فرَض رسول الله –صلى الله عليه وسلم–زكاةَ الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين".([٣١٢])

ففي هذا الحديث أنها تُصرَف للمساكين دون غيرهم، وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله –: "لا يجوز دفعُها إلا لِمَن يستحقُّ الكفَّارة، وهم الآخِذُون لحاجة أنفسهم".([٣١٣])

ويجوز أن يُعطِي الجماعةُ أو أهل بيت زكاتهم لمسكينٍ واحد، وأن تقسم صدقة الواحد على أكثر من مسكين للحاجة الشديدة، ولكن ينبَغِي أن تُسَلَّم لنفس المسكين أو لوَكِيله المفوَّض في استلامها من قِبَلِه.

إخراج قيمة زكاة الفطر:

اعلم زادك الله علما: أن هذه المسالة فيها خلاف بين العلماء والرأي الذي ترتاح إليه النفس هو جواز إخراج القيمة كما قال بذلك الإمام أبو حنيفة النعمان وسفيان الثوري وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري، وأبو يوسف واختاره من الحنفية الفقيه أبو جعفر الطحاوي وعليه العمل عند الأحناف في كل

---

[٣١٢] – سبق تخريجه

[٣١٣] – الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٩١)

زكاة وبه قال إسحاق بن راهويه، وأبو ثور ـ عند الضرورة والمقصود بالضرورة الحاجة أو المصلحة الراجحة ـ وغيرهم

فقد جاء في موسوعة فقه سفيان الثوري: لا يشترط إخراج التمر أو الشعير أو البر في زكاة الفطر بل لو أخرج قيمتها مما هو أنفع للفقير جاز لأن المقصد منها إغناء الفقراء عن المسألة وسد حاجتهم في هذا اليوم

عن الحسن، قال: لا بأس أن تعطي الدراهم في صدقة الفطر ([٣١٤])

وعن أبي إسحاق قال أدركتهم وهم يؤدون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام ([٣١٥])

وعن عطاء أنه كان يعطي في صدقة الفطر ورقا (دراهم فضية) ([٣١٦])

قال النووي في المجموع قال إسحاق وأبو ثور لا تجوز إلا عند الضرورة([٣١٧])

نقل زكاة الفطر من بلد الشخص إلى بلدٍ آخر

الأصل أنَّ الشخص يَدفَعُ زكاة فطره لفُقَراء البلد الذي يُدرِكه عيد الفطر وهو فيه، وهي إنما تجب بغروب الشمس ليلةَ العيد، ونقلها إلى بلدٍ آخر يُفضِي إلى تأخير تسليمها في وقتها المشروع، وربما أفضى إلى إخراج القيمة، وإلى خَفاء تلك الشعيرة، وجهل الناس بسنَّة النبي –صلى الله عليه وسلم–فيها، ولم يثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم–ولا عن أحدٍ من خُلفائِه الراشدين ولا عن أحدٍ من أصحابه – رضِي الله عنْهم، فيما أعلَمُ –أنهم نقلوها من المدينة إلى غيرها.

وبناءً عليه: فنقلُها في هذا الزمان من مجتمعٍ إلى آخر، والذي يدعو إليه بعض الناس ويُرغِّب فيه – معدودٌ من الأعمال المحدَثة التي يجب الحذَرُ منها والبعدُ عنها، وتنبيه الناس على ما فيه من المخالفة، والله المستعان.

---

[٣١٤] – مصنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٧٤)

[٣١٥] – صنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٧٤)

[٣١٦] – صنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٧٤)

[٣١٧] –

أمَّا كون الإنسان يُوكِّل أهلَه أن يُخرِجوا الزكاة في بلدهم وهو في بلد آخر، فليس من هذا الباب، فإنَّ الكلام في نقل زكوات بعضِ أهل بلدٍ إلى بلدٍ آخَر، فإنَّه هو الذي قد تترتَّب عليه المحاذير السابقة.

هل يجوز إعطاؤها للأخ أو الأخت

اعلم أن هذه المسألة فيها كلام طويل ولكن قال أهل العلم أنه لا بد النظر في درجة قرابة المزكي له، فإن كان أباً للمزكي أو أماً، أو زوجة، أو ابناً، أو بنتاً – وكان ممن يلزمه النفقة عليهم بأن كان موسراً – فلا يجوز الصرف إلى أحد منهم من زكاته

أما سائر الأقارب من أخ وأخت وعم وعمة وخال وخالة ٠٠ الخ، فقد اختلف الفقهاء في دفع الزكاة إليهم بين الجواز والمنع اختلافاً كثيراً ، والراجح في ذلك أنه يجوز إعطاء كل الأقارب إلا من توجب عليه النفقة ، وبمعنى آخر إن كان يرث من المزكي فلا زكاة له ، وإن لم يكن يرث من المزكي فله زكاه ، وهذا قول أكثر أهل العلم ، لما ثبت في الحديث الصحيح : " الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة " " رواه الخمسة إلا أبو داود وهو حديث صحيح "

وقد روى ابن أبي شيبة وأبو عبيد هذا القول عن جماعة من الصحابة والتابعين : فعن ابن عباس قال : يعطى الرجل قرابته من زكاته إذا كانوا محتاجين ([٣١٨])

وقال سعيد بن المسيب: إن أحق من رفعت إليه زكاتي يتيمي وذو قرابتي ([٣١٩])

وعليه يجوز دفع الزكاة إلى الأخ ما لم يرث، فإن كان للمزكي أولاد ذكور فإنهم يحجبون العم وبالتالي فيمكن إخراج الزكاة له، أما إن كان له بنات دون الأولاد، ففي هذه الحالة يرث العم وبالتالي لا يجوز إعطاء الزكاة له

أما بالنسبة للأخت والعمة والخالة وهكذا فيجوز إعطاؤهم الزكاة بناء على قول أكثر أهل العلم، والله تعالى أعلم)

---

[٣١٨] – مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص: ١٥٠)

[٣١٩] – مصنف ابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٣/ ١٩١)

هل يجوز أن يعطي الرجل زكاته لابنته المتزوجة:

فأما دفعُ الزكاة إلى البنت فالأصلُ أنه لا يجوز إلا في الحال التي لا تجب فيها نفقتها، كأن يكون الوالد عاجزا عن الإنفاق عليها، أو أن تعطى لوصف آخر غير الفقر كأن كانت غارمة وليس لها ما تقضي به دينها، فيجوزُ له أن يدفع إليها من مال الزكاة، ثم إن البنت إذا كانت تحت زوج ينفقُ عليها فلا يجوزُ دفع الزكاة لها وإن كانت فقيرة لكونها غنية بنفقة زوجها.

قال النووي في المنهاج: والمكفي بنفقة قريب أو زوج ليس فقيرا ولا مسكينا في الأصح. انتهى. ([٣٢٠])

وقال ابن قدامة في المغني: وإن كان للمرأة الفقيرة زوج موسر ينفق عليها لم يجز دفع الزكاة إليها، لأن الكفاية حاصلة لها بما يصلها من نفقتها الواجبة فأشبهت من له عقار يستغني بأجرته، وإن لم ينفق عليها وتعذر ذلك جاز الدفع إليها كما لو تعطلت منفعة العقار، وقد نص أحمد على هذا. انتهى. ([٣٢١])

فإن أعسر الزوج بالنفقة، فهل تجبُ النفقة على الأب؟

في هذا قولان للعلماء، فمذهب المالكية وجوبها عليه

ومذهب الشافعية عدمُ وجوبها عليه.

قال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج: فلو تزوجت — أي الأم أو البنت –سقطت نفقتها بالعقد ولو كان الزوج معسرا إلى أن يفسخ لئلا تجمع بين نفقتين. انتهى.

---

[٣٢٠] – المنهاج للنووي (ص: ٢٩٧)

[٣٢١] – المغني –ابن قدامة (٢/ ٥٢٢)

الصفة السادسة عشر

رمضان شهر الفرح

أخي المسلم ... أختي المسلمة: من صفات شهر رمضان انه شهر الفرح والسرور فالفرحُ لذةٌ تقع في القلب بإدراك المحبوب، ونيل المشتهى، فيتولّدُ من إدراكه حالةٌ تسمى الفرح والسرور.

كما أن الحَزَنَ والغَمَّ مِنْ فقد المحبوب، فإذا فقده تولد مِنْ فقده حالةٌ تسمى الحزَن والغم.

والفرحُ أعلى نعيمِ القلب ولذتِه وبهجتِه، فالفرحُ والسرورُ نعيمُه، والهمُّ والغمُّ عذابُه.

والفرحُ بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينةٌ وسكونٌ وانشراحٌ.

والفرح لذةٌ وبهجةٌ وسرورٌ، فكل فَرِحٍ راضٍ، وليس كلُّ راضٍ فَرِحًا.

ولهذا كان الفرحُ ضدَّ الحزن، والرضا ضدَّ السخط، والحزنُ يؤلم صاحبَه، والسُّخط لا يؤلمه إلا إذا كان مع العجز عن الانتقام.

اعلم علمني الله وإياك: أن القرآن الكريم يتضمن اثنتين وعشرين آية عرضت للفرح صراحةً، بالإضافة إلى آيات أُخَرَ ألقت بظلالها على هذا الموضوع، يضاف إليها أحاديث نبوية أسهمت في التأصيل الشرعي

تعريف الفرح يقول ابن منظور (والفَرَحُ نقيض الحُزْن وقال ثعلب هو أَن يجد في قلبه خِفَّةً فَرِحَ)([٣٢٢])

ويقول الفيومي في المصباح (ويستعمل في معان أحدها الأشر و البطر وعليه قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ) و الثاني الرضا وعليه قوله تعالى (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) والثالث السرور و عليه قوله تعالى (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) ويقال (فَرِحَ) بشجاعته و نعمة الله عليه وبمصيبة عدوه فهذا (الفَرَحُ) لذة القلب بنيل ما يشتهي و يتعدى بالهمزة و التضعيف([٣٢٣])

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله –والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب.([٣٢٤])

---

[٣٢٢] – لسان العرب [جزء ٢ – صفحة ٥٤١]

[٣٢٣] – المصباح المنير [جزء ٢ – صفحة ٤٦٦]

[٣٢٤] – تفسير القرطبي ج ٨ ص ٣١٦

أنوع الفرح: اعلم علمني الله وإياك إن الفرح جاء في القران مطلق ومقيد يقول ابن القيم –رحمه الله – (وقد جاء الفرح في القرآن على نوعين مطلق ومقيد فالمطلق جاء في الذم كقوله تعالى (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)(القصص)

) وقوله (إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠)(هود)

والمقيد نوعان أيضا مقيد بالدنيا ينسي صاحبه فضل الله ومنته فهو مذموم كقوله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)(الأنعام)

والثاني: مقيد بفضل الله وبرحمته وهو نوعان أيضا فضل ورحمة بالسبب وفضل بالمسبب

فالأول: كقوله(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) (يونس)والثاني : كقوله (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)(آل عمران)

فالفرح بالله وبرسوله وبالإيمان وبالسنة وبالعلم وبالقرآن من أعلى مقامات العارفين قال الله تعالى (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) (التوبة)

وقال (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) (الرعد)

فالفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره فإن فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له ولا يحزنه فواته

لماذا يفرح الصائم في الدنيا

أولا: ويفرح الصائمون بانتصاراتهم التي حققوها في ذلك الشهر فرمضان ميدان من ميادين الجهاد والصبر فهو جهاد في ترك المباحات التي يألفها المرء في حياته اليومية من طعام وشراب وشهوة وأصعب الجهاد أن يجاهد الإنسان ما ألفه وطبع عليه لذا جاء في الحديث

ثانيا: ويفرح الصائمون :لأنهم انتصروا في ذلك الشهر على الشيطان فنجحوا في ترك الذنوب والمعاصي التي ألفوها في غير شهر رمضان ، فرمضان غير فيهم أشياء كثير

فالذي كان لا يصلي في جماعة لما جاء رمضان واظب على الصلاة في جماعة فوجد لذة وحلاوة العبادة مع الإمام وتعلق قلبه ببيت الله فهو يفرح لان الله تعالى قد هداه إلى ذلك

ثالثا: ويفرح الصائم: الذي كان قاطعا للرحم بينه وبين أخونه عداوة وبغضاء فلما جاء رمضان نبذ العداوة ووصل رحمه ٠٠٠٠٠ أيها الصائمون الكرام: لقد تظاهرت نصوص الشرع في عظم شأن الصلة، وفضلها، والتحذير من قطيعتها، قال _تبارك وتعالى_: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)(النساء: من الآية١) .

وقال –عز وجل–: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد: ٢٢–٢٣)

عن جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ "رواه البخاري ومسلم، وقال سفيان في روايته: (يعني: قاطع رحم). (٣٢٥)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (٣٢٦)

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى: قال فذلكِ لكِ) رواه البخاري ومسلم.

وهكذا يتبين لنا عظمُ شأن الصلة، وأنها شعار الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنها سبب في بسط الرزق وطول العمر، وأنها تجلب صلةَ الله للواصل.

ثم إنها من أعظم أسباب دخول الجنة وهي من أسباب تيسير الحساب وتكفير الذنوب، وتعمير الديار، ودفعِ ميتة السوء.

رابعا: ويفرح الصائم لأنه وصل من قطعه وأرغم شيطانه على صلتهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ(٣٢٧)

ومن جميل ما قيل في هذا المعنى قولُ المقنّعِ الكنديِّ يصف حالَه مع قرابته:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمِّي لَمُختلفٌ جِدّا

إذا قدحوا لي نارَ حربٍ بزندهم ... قدحت لهم في كلِّ مكرمةٍ زندا

---

٣٢٥ – صحيح البخاري – (ج ١٨ / ص ٣٨٣)

٣٢٦ – صحيح البخاري – (ج ٧ / ص ٢٢٨)

٣٢٧ – صحيح مسلم – (ج ١٢ / ص ٤١٢)

وإن أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهُمْ وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا
ولا أَحْمِل الحقدَ القديمَ عليهمُ وليس رئيسُ القومِ مَنْ يَحْمِلُ الحقدا
وأعطيهمُ مالي إذا كنت واجداً وإن قلّ مالي لم أكَلِّفْهمُ رِفْدا

ويفرح الصائم أيضا لأنه عفا عمن ظلمه من أقاربه وقبل عذرهم ووص رحمهم

وتأمل فعل الكرام الأخيار مع من أساء إليهم فمن اجل وأروع الأمثلة ما جرى بين يوسف _عليه السلام_ وإخوته، فلقد فعلوا به ما فعلوا، وعندما اعتذروا قَبِلَ عُذْرَهُم، وصَفَحَ عنهم الصفحَ الجميلَ، فلم يقرِّعْهم، ولم يوبِّخْهم، بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم.

بل يحسن بالإنسان أن يصفح عن أقاربه، وينسى معايبهم ولو لم يعتذروا، فهذا دليل سمو النفس، وعلو الهمة.

ومما يجمل فِعْلُه مع الأقارب: بذلُ المستطاعِ لهم من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال، وأن يدعَ المنةَ عليهم، ومطالبتَهم بالمثل فالواصل ليس بالمكافئ والعاقل الكريمُ يوطِّن نفسَه على الرضا بالقليل من الأقارب؛ فلا يستوفي حقه كاملاً، بل يقنع بالعفو وباليسير، حتى يستميلَ بذلك قلوب أقاربه، ويُبْقي على مودتهم.

إذا أنت لم تستبق ودّ صحابةٍ على دَخَنٍ أكثرتَ بثَّ المعايبِ

خامسا: ويفرح الصائمون لأنهم انتصرا على الأخلاق السيئة والعادات القبيحة فرمضان مدرسة للتربية الخلقية والتربية الروحية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) ([٣٢٨])

فقد صام وصامت معه جوارحه فقد كان يقع في الغيبة والنميمة فلما جاء رمضان ترك الغيبة والنميمة واستبدل مكانهم ذكر الله وتلاوة القران فهو فرح بما من الله عليه من ترك مساوئ الأخلاق

* سادسا: ويفرح الصائمون: لأن الصوم غيرهم وبدل حالهم إلى أحسن الأحوال فالذي كان يدخن ويشرب المحرمات دخل عليه رمضان وقد عقد العزم والنية على التخلص من تلك المحرمات وبالفعل بالعزيمة الصادقة والقوة الرمضانية استطاع أن ينتصر على تلك العادات، فكم نرى ونسمع عن أناس

[٣٢٨] – صحيح البخاري – (ج ٦ / ص ٤٧٢)

كانوا يدخنون فلما دخل عليهم رمضان وصهرهم في بوتقته الإيمانية تركوا التدخين فهو يفرح يومئذ بذلك الانتصار ٠٠٠٠٠٠

سابعا: ويفرح الصائم: لأنه كان في خدمة إخوانه ومساعدتهم في ذلك الشهر الكريم

فعن الحسن رحمه الله قال: (لأنْ أقضيَ حاجةَ أخٍ لي أحبُّ إلي من أن أعتكفَ سنة).

وقيل لابن المنكدر رحمه الله: (أي الأعمال أحب إليك؟ قال: إدخال السـرور على المؤمن، وقيل: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان).

وقال الشافعي رحمه الله:

وأفضلُ الناسِ ما بينَ الورى رجلٌ تُقضى على يدهِ للناسِ حاجاتُ

فرح الصائمين يوم القيامة

أولا: ويفرح الصائمون يوم القيامة يوم الظمأ الأكبر: عندما يأخذ الناس العطش يأتيه الصيام فيسقيه ويرويه وعندها يفرح الصائم بصومه

ويفرح الصائمون الذين اخرجوا زكاة فطرهم فطهرتم من اللغو والرفث فلما كان يوم القيامة ودنت الشمس من الرؤوس جاءت الصدقة فأظلتهم

أنه سمع عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس » أو قال : « حتى يحكم بين الناس » قال يزيد : وكان أبو الخير « لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة » « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه »([٣٢٩])

يقول المناوي (كل امرئ في ظل صدقته) يوم القيامة حين تدنو الشمس من الرؤوس (حتى يقضى) لفظ رواية الحاكم حتى يفصل (بين الناس) يعني أن المتصدق يكفى المخاوف ويصير في كنف الله وستره يقال أنا في ظل فلان أي في داره وحماه أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير بها في ظل بخلق الله وإيجاده كما قيل فيه وفي نظائره المعروفة كذبح الموت ووزن الأعمال * (والله على كل شيء قدير) * وكان بعض السلف لا يأتي عليه يوم إلا تصدق ولو ببصلة أو لقمة. ([٣٣٠])

---

[٣٢٩] – رواه احمد ح ١٦٦٩٥ المستدرك على الصحيحين للحاكم –(ج ٤ / ص ٤٦) والبيهقي ج٤ ص ١٧٧ والطبراني في الكبير ج١٢ ص ٢٤٦

[٣٣٠] – فيض القدير – (ج ٥ / ص ١٧)

ثانيا: ويفرح الصائمون إذا وجدوا أن الصيام كان من أعظم الأسباب التي جعلت بينهم وبين النار سترا وحجاب

فالصيام جنة يقي صاحبه من الذنوب والمعاصي ويقيه من النار يوم القيامة فاذا وقف العبد في ارض المحشر يوم القيامة فانه يرى انه بينه وبين النار آلاف السنين لأنه صام رمضان سنين عديدة واستمع إلى تلك البشارة النبوية

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) ([٣٣١])

(قالَ الْحَافِظُ : الْخَرِيفُ زَمَانٌ مَعْلُومٌ مِنْ السَّنَةِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْعَامُ ، وَتَخْصِيصُ الْخَرِيفِ بِالذِّكْرِ دُونَ بَقِيَّةِ الْفُصُولِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ لِأَنَّ الْخَرِيفَ أَزْكَى الْفُصُولِ لِكَوْنِهِ يُجْنَى فِيهِ الثِّمَارُ . وَنَقَلَ الْفَاكِهَانِيُّ أَنَّ الْخَرِيفَ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَالْبُرُودَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيُبُوسَةُ دُونَ غَيْرِهِ، وَرُدَّ بِأَنَّ الرَّبِيعَ كَذَلِكَ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَرُدَّ ذِكْرُ السَّبْعِينَ لِإِرَادَةِ التَّكْثِيرِ كَثِيرًا اِنْتَهَى، ([٣٣٢])

ثالثا: ويفرح الصائمون إذا مروا على الصراط كالبرق الخاطف: وذلك لأنهم من ثلة المتقين الذين عملوا بطاعة الله على نور من الله يرجون ثواب الله وتركوا معصية الله على نور من الله يخافون عذاب الله، فأورثهم ذلك النور نورا يمرون به على الصراط

يقول الله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) (مريم)

و يقول – سبحانه– (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ

---

[٣٣١] – صحيح البخاري – (ج ٩ / ص ٤٣٣)

[٣٣٢] – تحفة الأحوذي – (ج ٤ / ص ٢٩٥)

أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) (سورة الحديد)

علم علمني الله وإياك: أن للطاعة نور في وجوه أصحابها في الدنيا وفى الآخرة ويكون هذا النور بحسب الإيمان بالله والانقياد لأمره والانتهاء عن نهيه –سبحانه وتعالى –

يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعَى نورهم بين أيديهم في عَرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم مَن نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا مَن نوره في إبهامه يتَّقد مرة ويطفأ مرة، ورواه بن أبي حاتم وبن جرير.

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نُوره من المدينة إلى عَدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه"

وقال سفيان الثوري، عن حُصَين، عن مجاهد عن جُنَادة بن أمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم وحُلاكم، ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك. يا فلان، لا نور لك. وقرأ: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)

وقال الضحاك: ليس لأحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأي ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طُفئ نور المنافقين، فقالوا: ربنا، أتمم لنا نورنا.

وقال الحسن [في قوله] {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: على الصراط.([٣٣٣])

ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: {بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} فلله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب [محبوب]، ونجوا من كل شر ومرهوب

رابعا: ويفرح الصائمون إذا شفع لهم الصيام والقران بين يدي الرحمن

[٣٣٣] – تفسير ابن كثير – (ج ٨ / ص ١٥)

فإذا وقف العبد بين يدي الرب سبحانه للحساب تقدم للدفاع عنه أمام الله الصيام فيقول الله أي ربي منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه يا له من مشهد يفيض بالفرح والسرور عندما تأتي الأعمال تدافع وتشفع لصاحبها يوم القيامة لتكون حجة له أمام خالقه –سبحانه وتعالى –

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ ([٣٣٤])

قال الإمام المناوي –رحمه الله – (أي يشفعهما الله تعالى فيه ويدخله الجنة وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق (والله على كل شيء قدير) * ويحتمل أنه يوكل ملكا يقول عنهما ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل.([٣٣٥])

خامسا: ويفرح الصائمون عند الجزاء على أعمالهم :فيحاسب العبد على الصلاة والزكاة ويعطى أجره عليها الحسنة بعشر أمثالها فإذا حوسب على الصيام أعطي أجره بغير حساب ولا سابقة عذاب

، فيومئذ يفرح الصائمون،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ([٣٣٦])

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَعْمَالَ قَدْ كَشَفَتْ مَقَادِيرَ ثَوَابِهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تَضَاعَفَتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ . وَيَشْهَدُ لِهَذَا السِّيَاقِ الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى يَعْنِي رِوَايَةَ الْمُوَطَّأِ وَكَذَلِكَ رِوَايَةُ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ حَيْثُ قَالَ : كُلُّ عَمَلِ اِبْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ : إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، أَيْ أُجَازِي عَلَيْهِ جَزَاءً كَثِيرًا مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِمِقْدَارِهِ ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } اِنْتَهَى . وَالصَّابِرُونَ الصَّائِمُونَ فِي أَكْثَرِ الْأَقْوَالِ اِنْتَهَى مَا فِي الْفَتْحِ ([٣٣٧]).

---

[٣٣٤] – مسند أحمد – (ج ١٣ / ص ٣٧٥) قال الألباني(صحيح) انظر حديث رقم : ٣٨٨٢ في صحيح الجامع .

[٣٣٥] – فيض القدير – (ج ٤ / ص ٣٣١)

[٣٣٦] – صحيح البخاري –(ج ١٨ / ص ٢٩٣ ح ٥٤٧٢

[٣٣٧] – تحفة الأحوذي – (ج ٢ / ص ٣٠٦)

فيومئذ يفرح الصائمون

سادسا: ويفرح الصائمون إذا وجدوا ديوان أعماهم ليس فيه خطيئة: لأن الصوم والقيام قد غفر لهم الذنوب والمعاصي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ([٣٣٨])

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ([٣٣٩])

سابعا: يفرح الصائمون إذا وجدوا في صحائف أعمالهم قيام ليلة القدر

أتدري عبد الله ما ليلة القدر؟

{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر [خالية منها]، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث من تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرًا طويلا نيفًا وثمانين سنة.([٣٤٠])

فيومئذ يفرح الصائمون

ثامنا: ويفرح الصائمون إذا زفوا إلى الجنة

ويفرح الصائمون عندما يزفون إلى الجنة زمرا لأن الصوم أورثهم التقوى التي نالوا بها ذلك الشرف وتلك المنزلة يقول الحق –سبحانه وتعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) (الزمر)

---

[٣٣٨] – صحيح البخاري –(ج ١ / ص ٦٧ ح ٣٧

[٣٣٩] –رواه البخاري ح ١٧٦٨ ج ٦ ص ١٣٩

[٣٤٠] – **تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٩٣١)**

تاسعا : ويفرح الصائمون اذا دعوا من باب الريان :فإذا وصل الصائمون إلى أبواب الجنة نادتهم الملائكة أن هلموا لتدخلوا من باب الريان إنه الباب الذي وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلون منه إذا صاموا وها هو الغيب تحول إلى حقيقة وكشف الغطاء وهاهم يتزاحمون في الدخول من ذلك الباب الذي سيروي عطشهم ويذهب عنهم عناء الدنيا وظمأ الهواجر ، قَالَ الْعُلَمَاء : سُمِّيَ بَاب الرَّيَّان تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْعَطْشَان بِالصَّوْمِ فِي الْهَوَاجِر سَيُرْوَى وَعَاقِبَتُهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ الرِّيِّ .

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ) ([٣٤١])

قال ابن حجر: قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير: إِنَّمَا قَالَ فِي الْجَنَّة وَلَمْ يَقُلْ لِلْجَنَّةِ لِيُشْعِر بِأَنَّ فِي الْبَاب الْمَذْكُور مِنْ النَّعِيم وَالرَّاحَة فِي الْجَنَّة فَيَكُون أَبْلَغ فِي التَّشَوُّق إِلَيْهِ.

قُلْت: وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيث مِنْ وَجْه آخَر بِلَفْظِ " إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَة أَبْوَاب ، مِنْهَا بَاب يُسَمَّى الرَّيَّان لَا يَدْخُلهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ " . أَخْرَجَهُ هَكَذَا الْجَوْزَقِي([٣٤٢])

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ([٣٤٣])

يقول ابن بطال: قال المهلب: إنما أفرد الصائمين بهذا الباب ليسارعوا إلى الري من عطش الصيام في الدنيا إكرامًا لهم واختصاصًا، وليكون دخولهم في الجنة هينًا غير متزاحم عليهم عند أبوابها، كما خص

---

[٣٤١] – صحيح البخاري – (ج ٦ / ص ٤٦١)

[٣٤٢] – فتح الباري لابن حجر – (ج ٦ / ص ١٣٢)

[٣٤٣] – صحيح البخاري – (ج ٦ / ص ٤٦٢)

النبي أبا بكر الصديق بباب في المسجد يقرب منه خروجه إلى الصلاة ولا يزاحمه أحد، وأغلق سائرها إكراهًا له وتفضيلاً. ([٣٤٤])

يقول ابن بطال: قال المهلب: قول أبى بكر: ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، يريد أنه من لم يكن إلا من أهل خصلة واحدة من هذه الخصال، ودعي من باب تلك الخصلة، فإنه لا ضرورة عليه، لأن الغاية المطلوبة دخول الجنة.

وقوله: «هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم» ، يريد أن من كان من أهل الصلاة والجهاد والصيام والصدقة أنه يدعى منها كلها، فلا ضرورة عليه في دخوله من أي باب شاء، لاستحالة دخوله منها كلها معا، ولا يصح دخوله إلا من باب واحد، ونداؤه منها كامل إنما هو على سبيل الإكرام والتخيير له في الدخول من أيها شاء.

قال عبد الواحد: وفيه أن أعمال البر كلها يجوز أن يقال فيها في سبيل الله ولا يخص بذلك الجهاد وحده. ([٣٤٥])

عاشرا: ويفرح الصائمون بجزاء قيامهم وصلاتهم

ومن الأشياء التي يفرح بها الصائمون الفرح بذلك الجزاء الذي أعده الله –تعالى – للقائمين والراكعين الساجدين حيث اعد لهم في دار المقامة ما لا يخطر على قلب بشر يقول تعالى (

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)

{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ } أي كل نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمن عداهم فإن النكرة في سياق النفي تعم ، والفاء سببية أو فصيحة أي أعطوا فوق رجاءهم فلا تعلم نفس { مَّا أُخْفِىَ لَهُم } أي لأولئك الذين عددت نعوتهم الجلية { مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ } أي مما تقر به أعين ، وفي إضافة القرة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى أعينهم تنبيه على أن ما أخفي لهم في غاية الحسن والكمال .

---

[٣٤٤] – شرح ابن بطال – (ج ٧ / ص ١٣)

[٣٤٥] – شرح ابن بطال – (ج ٧ / ص ١٧)

وروى الشيخان وغيرهما عن أَبي هريرة – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : { فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة : ١٧])) ([٣٤٦])

عن ابن مسعود قال: إنه لمكتوب في التوراة «لقد أعد الله تعالى للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع إذن ولم يخطر على قلب بشر» ولا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنه لفي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين { جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } أي جوزوا جزاءً بسبب ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحة فجزاء مفعول مطلق لفعل مقدر والجملة مستأنفة . ([٣٤٧])

تم الكتاب وربنا محمـــود * * * وله المكارم و العلى والجـــود

ثم الصلاة على النبي محـمدٍ * * * ما غرد قمريٌ وأورق عـود

اللهم ما احملنا في سفن نجاتك ومتعنا بلذيذ مناجاتك وأوردنا حياض حبك وأذقنا حلاوة ودك وقربك ، واجعل جهادنا فيك وهمنا في طاعتك وأخلص نياتنا في معاملتك فإنا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت، اللهم لا تجعلنا عن ذكرك غافلين ولا عن أمرك زائفين وأدخلنا في عبادك الذين اصطفيتهم لوراثة كتابك، وأنظمنا في سلك من أهلته لولائك واغفر بفضلك مغفرة عزما ، لا نخاف بعدها ظلما ولا هضما .وصل الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كبيرا إلي يوم الدين آمين ... آمين .

تأليف

أبو همـــــام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

abo_hamam2012@yahoo.com

م/٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨

---

[٣٤٦] – أخرجه أحمد (٣١٣/٢، رقم ٨١٢٨)، والبخاري (١١٨٥/٣، رقم ٣٠٧٢) ، ومسلم (٢١٧٤/٤ ، رقم ٢٨٢٤)

[٣٤٧] – تفسير الألوسي – (ج ١٦ / ص ٩)

الفهرس

المقدمة ٢

الصفة الأولى رمضان شهر الصوم..... ٤

الصفة الثانية: رمضان شهر التقوى ٤

تعريف التقوى ٤

كيف يحققها العبد؟ ٦

شرف التقوى ومنزلتها ١٣

الصفة الثالثة: رمضان شهر القران ١٨

حال السلف مع القران في رمضان ١٩

التبيان في بيان حقوق القران..... ٢٣

الحق الأول: حق الإيمان والتصديق: ٢٣

الحق الثاني: حق التلاوة ٢٥

الحق الثالث: حق التدبر ٢٨

الحق الرابع: حق العمل به ٣٠

الحق الخامس: التحاكم إلى القرآن ٣٢

الحق السادس: حق الاستشفاء به..... ٣٤

الصفة الرابعة رمضان شهر الترويح..... ٣٦

فضائل صلاة التراويح..... ٣٧

وقتها: ٣٨

عدد ركعاتها: ٤٠

كيفية صلاة التراويح: ٤١
الاستراحة في صلاة التراويح كل أربع ركعات: ٤١
ما يقال في الترويحة؟ ٤١
الصفة الخامسة: رمضان شهر الصبر ٤٢
ميادين الصبر في مضان ٤٥
صبر على أداء الطاعات ٤٥
صبر عن البعد على المعاصي والمخالفات ٤٦
الصفة السادسة: رمضان شهر التوبة ٤٦
أولا: تعريف التوبة ٥٠
التوبة النصوح ٥٠
النوع الثاني: التوبة الفاسدة ٥١
ثانياً: حكم التوبة: ٥١
شروط التوبة الصحيحة ٥٢
فضائل التوبة ٥٧
الصفة السابعة: رمضانُ. شهرُ الغفران ٦١
أول محطات المغفرة الصوم: ٦٢
ثانيا قيام رمضان ٦٢
ثالثا قيام ليلة القدر: ٦٣
رابعا العُمْرة: ٦٣
الصفة الثامنة رمضان شهر الكرم والجود ٦٥

فضل الجود والكرم.....٦٥

جود الله تعالى على عباده في رمضان.....٦٦

جود النبي العدنان–صلى الله عليه وسلم–في رمضان ٦٨

صور مِن كرم النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وجوده.....٦٩

صور من جود وكرم الصَّحابة–رضي الله عنهم أجمعين ٧٠

نماذج مِن السَّلف في الكَرَم والجُود.....٧١

الواجب علينا في هذه الأيام ٧٢

الصفة التاسعة: رمضان شهر المواساة ٧٤

تعريف المواساة ٧٤

الإيمان والمواساة.....٧٤

المواساة في حياة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.....٧٥

المواساة في حياة السلف الصالح من الصاحبة التابعين ٧٨

رمضان مضمار للمواساة ٧٨

الصفة العاشرة :رمضان شهر العتق من النار.....٨١

وصف النار ٨٢

الطريق إلى العتق من النار ٨٥

أولا: الإخلاص: ٨٥

ثانيا: إصلاح الصيام: ٨٧

ثالثا: إطعام الطعام للمساكين.....٨٨

رابعا: إصلاح الصلاة بإدراك تكبيرة الإحرام. ٨٩

خامسا: المحافظة على صلاتي الفجر والعصر. ٨٩

سادسا: المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وبعده..... ٩٠

ثامنا: البكاء من خشية الله تعالى..... ٩١

الصفة الحادية عشر : رمضان شهر الجنة..... ٩٣

البشارة الربانية للمؤمنين والمؤمنات بالجنة ٩٣

أصحاب الحبيب النبي يسألون عن الأعمال التي تدخلهم الجنة..... ٩٤

وصفة الجنة..... ٩٥

الصفة الثانية عشر: مضان شهر الانتصارات..... ١٠١

الناصر هو الله: ١٠١

مجالات النصر في رمضان ١٠١

المجال الأول الانتصار على النفس..... ١٠١

الميدان الثاني: الانتصار على الشيطان..... ١٠٣

الميدان الثالث: الانتصار على العادات..... ١٠٣

الانتصارات على الكفرة والمشركين ١٠٤

الصفة الثالثة عشر: رمضان شهر الرحمة..... ١٠٨

دلائل رحمة الله في آيات الصيام..... ١٠٨

الصفة الرابعة عشر: رمضان شهر الاعتكاف ١١٢

أولا: تعريف الاعتكاف..... ١١٢

تاريخ الاعتكاف..... ١١٢

بيان حكمته..... ١١٣

أدلة مشروعية لاعتكاف الكتاب والسنة وآثار الصحابة والإجماع.....١١٤

هديه صلى الله عليه وسلم في الاعتكاف: ١١٥

أركان الاعتكاف: ١١٧

آداب الاعتكاف.....١١٩

الصفة الخامسة عشر: رمضان شهر الزكاة ١٢١

تاريخ مشروعيَّتها والدليل عليها: ١٢١

حكمها: ١٢٢

حكمة مشروعيَّتها: ١٢٢

على مَن تجب الفطرة؟ ١٢٣

أنواع الأطعمة التي تخرُج منها زكاة الفطر ١٢٣

المقدار الواجب في الفطرة: ١٢٤

وقت إخراج الزكاة: ١٢٥

لِمَن تُعطَى صدقة الفطر؟ ١٢٦

إخراج قيمة زكاة الفطر: ١٢٦

نقل زكاة الفطر من بلد الشخص إلى بلدٍ آخر.....١٢٧

هل يجوز إعطاؤها للأخ أو الأخت.....١٢٨

هل يجوز أن يعطي الرجل زكاته لابنته المتزوجة: ١٢٩

الصفة السادسة عشر: رمضان شهر الفرح ١٣٠

أنوع الفرح: ١٣١

لماذا يفرح الصائم في الدنيا ١٣١

فرح الصائمين يوم القيامة ١٣٤

الفهرس ١٤٢